

انفہرین

- أندونيسيا اليوم ... : الأستاذ محمد جبري ... ٣  
الفرخ الجنرال السعودي ... : الأستاذ علي آدم ... ٦  
القائمة في التحليل والمجاملات ... : الأستاذ أحمد طه السنوسي ... ١٠  
دراسات في الأدب المصري الحديث :  
الحليل ... : الأستاذ عبد السميع المصري ... ١٣  
في النقد الأدبي :  
مورطريفة من معالقة قديمة ... : الأستاذ جمال الدين الزماي ... ١٦  
درائع الأدب العربي في سطور :  
قصة بين إيتشون ... : ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم ... ١٩  
نقد الكتب :  
كانت لنا أيام ، ديوان شعر للشاعر السوري { الأستاذ محمد عبد الله حسن ... ٢٢  
عمر النص ... :  
سليمان إلى الغرب للدكتور حسين فوزي : الدكتور حسين مؤنس ... ٢٦  
بحر أمه :  
هيويتا والطقس ... : ترجمة الأديب حسين أحمد أمين ... ٢٨  
لغائه :  
غضب حناء ... : الأستاذ محمد محمود ... ٣٠  
فلسفة ... :  
إلى التسمية ... : الأستاذ زهير أحمد ... ٣٠  
أسبوعية الشطرنج ... : الأستاذ حسن توفيق قاتق ... ٣١

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

# الثقافة

AL-THAQAF

رئيس التحرير الدكتور

صاحب المصباح

محمد عبد الواحد مؤلف بك

مؤلفة

المكتبة أحمد أمين بك

١٧ شارع سعد زغلول ، القاهرة . هاتفون ٤٢٩٩٢ - ٥٦٧٦٩

العدد ٦٠٩ الأثني ١٤ من ذي القعدة سنة ١٣٦٩ - ٢٨ من أغسطس سنة ١٩٥٠ السنة الثانية عشرة

مسيرة من الجهاد في الشرق بمناسبة إحياءه ومرة الفروغ الأندونيسية يوم ١٧ أغسطس ١

## اندونيسيا اليوم

بحث تاريخي سياسي

للأستاذ محمد جنيدي



الحديث اليوم عن التطورات السياسية في اندونيسيا هو الحديث عن الحركات القومية للشعوب الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة لتحرر من الاستعمار الغربي. وقد دخل اليوم اندونيسيا في عهد جديد ، عهد الوحدة ، عهد الإتحاد ، فقد ألغت الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت اندونيسيا حكومة الجمهورية الإندونيسية ، وحبيبنا إلى أن أدامم للفارسي 'الكريم في هذا القال للوجز عتاً تاريخياً سياسياً يتعلق بوضع الإندونيسى التاريخي والسياسي منذ بدأ الاستعمار الغربي حتى اليوم ، لتؤكد ثقافته العامة ، ولتؤكد على مدى قوة الحركات التحررية في الشرق الأدنى.

إندونيسيا هي مجموعة جزائر الهند الشرقية ، وتضم ما يزيد على ألفي جزيرة ، منتشرة بين القارة الآسيوية والقارة الأسترالية . وأهم هذه الجزائر من ناحية السكان والإنتاج الزراعي والصيد ولقد تم الثقافة والعلوم ، جزر جاوا وسومطرة وبورنيو وسيليس . أما جزيرة جاوا فهي مركز الثقافة والألعاب . وهذه الحركات القومية ، وجميع الأوروبيين من مستعمرين ورجال تجارة وصناعة وعلوم .

والأهم من حيث الحضارة والدينية ، لأن الشعبين لم يلتقيا إليها كثيراً ، فلم يستقوا ثرواتها المعدنية والثالية إلا قليلاً ، وتتقدم الحياة الثقافية والعمرانية والاقتصادية في شرقها

وعربها ، وذلك لحبس التربة في شرقها ، ولشاط السكان في غربها .

وإذا نظرنا إلى جزيرة سومطرا من ناحية الانحلال لعادتها وبساتينها ، فيمكن أن نخبرها بالأدلة كبراً ، ثم نستقل بعد . فهي غنية بالمعادن والنباتات الطبية التي تحتاج إليها العلم ، وتوجد في أواسطها آثار البزوك ، كما توجد في شرقها حقول المطاط ، وكما توجد في غربها منابع الفحم الحجري ، وتلك الشركات المولدية حل هذه الحقول والناجم . وشكون هذه الجزيرة الهدف الأول لبرامج الانتعاش التي قررت الحكومة الإندونيسية تنفيذه في الوقت الحاضر ، وقد جلبت إليها الملاحة للخدمات والآلات الزراعية من الفلبين . وترعت الحكومة الإندونيسية باستغلال رءوس الأموال الأجنبية فيها ، لتعطي الحرية لتصادماً ومحرماتياً . وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة .

وأما جزيرة سلبيس تقع في شرق إندونيسيا ، وتحتها عدة جزر صغيرة ، وتقع في شمال هذه الجزيرة مقاطعة ( منادو ) . وهي مقاطعة يسكنها المسيحيون الإندونيسيون ، ويعتزون عن بقية سكان هذه الجزيرة بالفضل ، والاعتزاز ، إذ أن هولندا لما استعمرت إندونيسيا قبلت تلك العلم لهم ، كما أصبحت المجال لسكان ولاية ( منوكو ) لا توجد في جنوب هذه الولاية مقاطعة أخرى هي مقاطعة ( أمبون ) . وسكانها كما هو أهم سكان مقاطعة ( منادو ) من حيث الثقافة والتعليم . وخلال العهد الهولندي السابق كانت قوات جيش حكومة الهند الشرقية متخفين من سكان مقاطعة ( منادو ) و ( أمبون ) ، ثقة هولندا في ولايتهم لها ، ولعدم حاجهم في البعثات المولدية في إندونيسيا ، وزاوجة القردة الحديثة . وقد استقل الهولنديون هذا الولاية ، وهذه الزاولة فتوا روح الثورة والخص والكرامية بين سكان هاتين المقاطعتين وبين إخوانهم الإندونيسيين سكان الجزر الأخرى الذين يدينون بالقبلة الإسلامية . ولا ننسى أن هؤلاء الإندونيسيين قد لعبوا دوراً هاماً بل شاد السلطة الهولندية في مناهضة الحركات القومية خلال أربعين عاماً ( ١٩٠٨ - ١٩٤٨ ) . فقد كانوا البوليس المرفى لمجموعة الهند الشرقية ، وكانوا يمثلون الشرطة العسكرية للصحرة . وبعد أن أعلنت إندونيسيا استقلالها كان بعض رعماء ولاية بلوكو

وسلبيس من سكان مقاطعة ( منادو ) و ( أمبون ) كالدكتور ليندا ، والدكتور راتولانجي ، والدكتور هار هاري ، والمهندس فونجينا ، كانوا المنظمة الأولى في صرح الاستقلال والأساس الأول في بناء الجمهورية . وقد عفا جيش حكومة الهند الشرقية الذي يشكل السواد الأعظم من سكان مقاطعة ( أمبون ) و ( منادو ) متديجاً في جيش الجمهورية الإندونيسية عن رغبة وإحلام في خدمة الجمهورية التي رمز إلى الديمقراطية الحقة ، إلى المساواة التامة بين جميع سكان إندونيسيا المعظم . . .

ومن أهم إنتاج جزيرة سلبيس « التوابل » . وقد اشتهرت بها منذ ظهور سحفة ، وهذه « التوابل » هي مصدر الدخل لأندونيسيا ، إذ دخل إليها الأوروبيون في القرن السادس عشر ، وصاروا يتلقون « التوابل » منها عبر الشرق الأدنى إلى أوروبا ، ثم توسعت تجارة « التوابل » فأنتت في الآت شركات إسبانية وبرتغالية وهولندية وإنكليزية ، ثم أصبحت الشركات المولدية في حصا وكوت ( شركة الهند الشرقية ) في عام ١٦٠٥ . وركزت بذلك أقدام المستعمرين في إندونيسيا ، وعقدوا حين الانقلاط التجارية مع بعض المصالح بحرية جاوا وأمراتها ، وحلوا من مدينة ( جاكرتا ) مركزاً رئيساً للتجارة الأوروبية . ولما سلفت الشركة أمورها إلى الحكومة الهولندية في القرن الثامن عشر ، أصبحت إندونيسيا مستعمرة هولندية . أبدل الهولنديون اسم المدينة ( جاكارا ) إلى اسم هولندي هو ( باتايا ) . وهو اسم لمقاطعة في هولندا ، ثم أعيد الاسم الأول إلى هذه المدينة بعد أن تحررت إندونيسيا في السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ .

والحياة الثقافية والزراعية في جزيرة ( سلبيس ) تتقدم بحمل ثامة ، وهي أحسن الجزر الإندونيسية الواقعة في شرق إندونيسيا من حيث الحضارة والمدينة . ولا تعدت اتفاقية الجارجان بين الحكومة الأندونيسية والحكومة الهولندية رفضت هولندا أن تضم الجمهورية الأندونيسية جزيرة سلبيس . وقد شكلت فيها حكومة أندونيسية سورية لا جيش لها ولا علم ولا قود . وفي هذه الجزيرة أباد الهولنديون للمستعمرين بقيادة الكابتن ( وسترلج ) الهولندي أربعين ألفاً من الأندونيسيين في عام ١٩٤٦ . . .



ولم تشعل حكومة أندونيسيا الصرخة التي أقامها الهولنديون لعمل مسئولي هذه الإدارة . واحتجت الحكومة الأندونيسية لدى الحكومة الهولندية على ما قامت به الجيوش الهولندية من القتل والتمسك على القطاع الزراعي في جزيرة سيليبس . ولا تزال هذه المذلة الخطيرة معلقة بين الحكومة الأندونيسية والحكومة الهولندية ، وستأتي في يوم من الأيام ... وبلغ عدد سكان هذه الجزيرة اثني عشر مليون نسمة .

وهذه الجزيرة الرابعة التي تشتمل إحدى الجزر الأندونيسية الكبرى ، وهي جزيرة (بورنيو) ، وهي أكبر جزيرة في العالم . كانت تستعمرها هولندا وباكثا ، وقد زال الحكم الهولندي ضد المراء الهولندي إلى حظيرة الجمهورية الأندونيسية ، وأما الجزء الانكليزي وهو يشمل النبال الغربي لهذه الجزيرة ويحرف مقاطعة (سراوك) فلا يزال تحت النفوذ الانكليزي .

والحياة الثقافية والصناعية في هذه الجزيرة لم تقدم بعد ، رغم وجود مائتين حيوانيين قدام ، وما الذهب والبترو . وقد بدأ في استخراج البترول في هذه الجزيرة في نهاية القرن التاسع عشر ، فقامت فيها صناعات البترول في شرق هذه الجزيرة خصوصاً في شرق . ومدينة (ناراكان) في الشرق الأقصى ، فيها حقول البترول الواسعة ، وفيها معامل تكرير النفط . ومنها كانت هولندا والشركات الاحتكارية الغربية تصدر البترول إلى أوروبا وأمريكا . وعندما بدأت هولندا انسحب من أندونيسيا في أوائل عام ١٩٤٢ حطمت حقول البترول وبعض معامل تكرير كيلا استغلها اليابانيون في أعمالهم الحربية .

ومدينة (ناراكان) هي أول مدينة احتلتها القوات التحالفية من القوات اليابانية خلال معارك الشرق الأقصى التي أدت إلى انهيار اليابان في أغسطس عام ١٩٤٥ . وقد احتلت القوات الامتريالية ثم سفنها قوات الهولندية التي كانت سائرة خلف القوات المتحدة . ويظهر من هذا التسليمية الدول الكبرى نحو استعمار الشرق واستعمارها . فهولندا التي انسحبت من أندونيسيا إثر زوال قوات البالية فيها ، لم يبق لها سلطة أو سيادة على أندونيسيا .

ولكن الاستعمار الغربي يحاول بقوة السلاح إعادة السلطة الهولندية إلى أندونيسيا ، تحتفظ له مركزه السياسي والاقتصادي . وقد أثبتت الحوادث الكبرى التي حدثت في أندونيسيا بعد إعلان استقلالها صحة هذا الرأي . فقد أدت القوات التحالفية الجيوش الهولندية في احتلال بعض المدن الأندونيسية الكبرى وشيئت اقتديا في الحوادث الأندونيسية ، بما أدى إلى مرقعة نحو الحياة الأندونيسية الحديثة . حياة الحرية والاستقلال . حدثت الحوادث العسكرية وحرب الصالوات بين التونين - الأندونيسية والهولندية - واستمرت الاضطرابات في جميع أنحاء أندونيسيا خمس سنوات .

واللغة الثانية من التواد العامة في هذه الجزيرة هي الذهب . وتوجد في جنوب الجزيرة مناجم الذهب واستغلها الشركات الغربية . وتحبس الحكومة الأندونيسية الآن السياسة التي تشنها إزاء هذه الشركات الاحتكارية التي تسخر على الرافق العامة في أمم الدول الأندونيسية . والتي تشنها نحو تأميم الشركات والصناع والمعادن التي تحتاج إليها للقبول في أعمالها الحربية والقدية ، وتؤمن أصحابها قدام ، كما تحجب الشركات الأخرى نظم تحفظ حقوق المواطنين في العمل الحر .

ذكرت أيضاً أن الحياة الثقافية في جزيرة بورنيو لم تقدم جيد ، والسبب في ذلك هو السياسة الاستعمارية الرامية إلى بقاء الشعب بعيداً عن نور العلم . وقد ثبت فعلاً أن بعض رجال التعليم الأندونيسيين حاولوا إدخال التعليم الحديث في هذه الجزيرة فوجدوا معارضة من الحكومة الهولندية . عوى إثارة الأفكار ضد سياستها . وكانت هولندا تصرف على التعليم في أندونيسيا جزءاً بسيطاً من ميزانية حكومة الهند الشرقية . وعلى الولايات تعمر بها هولندا الأراضي الواقعة وتبذل مروجاً خيراً . وقد أشرف الدكتور سوكارنو حين بدأ جهاده السياسي إلى أموال الطاقة التي تسحبها هولندا من أندونيسيا قاتلاً ، وتوهمها جراً من ذهب من الأموال الأندونيسية التي سحبتها الحكومة الهولندية إلى هولندا من أندونيسيا . حيث يبدأ الجسر من أندونيسيا إلى هولندا لكفى (١) وبلغ عدد سكان هذه الجزيرة مليون نسمة . محمد منير .

# المؤرخ الجغرافي المسعودى

الأستاذ على آدم

الرؤية : وكثيراً ما تشبه الجغرافة المسرج وبشبه التلويح بالرواية التقليدية ، وهو تشبيه مأمور به البقية : وذلك لأن الرواية التقليدية صانع للتشكيل على مختلف المسارج ، ولكن روايات التاريخ لا تتلى سوى مرة واحدة على مسرحها الخاص . وهي تتأثر إلى حد ما بمصالح هذا المسرج . فرواية تاملون مثلاً فى أسبانيا أو روسيا أو مصر لا يمكن أن تتغلب إلا متأثرة بمسرح حوادثها فى أسبانيا وروسيا ومصر : ولا نزاع فى أن طبيعة البلاد الأسبانية أو الروسية أو الروسية أو الأرمنية المصرية كان لها أثر واضح فى إخراج الرواية وتبليها .

وظيفة الجغرافة متباعدة دراسة عامل هام من العوامل المؤثرة على شكل فى تكوين التاريخ ونسج خيوطه . ولذا لم يحاولوا بحور أعمال الناس وتكشف عن دقائق الفكر الخفى . وكما أريد الاستقصاء وأمن فى تحرى الحق ومعرفة الواقع وحده نفسه مضطراً إلى الإفادة من جهود الكثيرين الذين يعملون فى مناطق أخرى قريبة من منطقة بحثه : فهو فى حاجة إلى الإلمام بجهود الباحثين فى أصول السجلات والشعوب والأحاسن والباحثين عن مناسبات الفلك والمايات والأديان والمعتقدات . وكذلك هو فى حاجة إلى الإطلاع على النتائج التى يتوصل إليها الباحثون فى طبائع الأمكنة والبيئات وما توالى عليها من تغيرات ، ومن الواضح أن المؤرخ يستطيع أن يعقب دراسته وبشكل تجاريه وخبرته بلهم الناحية الجغرافية لشكله التاريخي . لأن التفكير الإنسانى أو العمل الإنسانى لا ينشأ ويتكون فى الفراغ ، وإنما لا بد له من بيئة تؤثر فيه تأثيرها وتطعمه بطايعها .

بين التاريخ والجغرافة علاقة صعبة ورابطة وثيقة . جعلت بعض الفكرين يذهبون إلى أن الفهم الصادق للتاريخ والتفسير الصحيح لا يكونان إلا عن طريق الحوث الجغرافية ، وأمن بعضهم ومدق بالمجربة الجغرافية . وحسبها وعندها كتابة لجلاء ما تحمضت أسبابه واستمرت دوافعه من أحداث التاريخ وطورهاته . وقد عارض هذا الرأى وتقدم وأظهر بطلان المؤرخ للمكر توبنى (١) . وقد شغلت مشكلة علاقة الإنسان ببيئته اليونان القديمة . وبدأ الأفلطون أن يصدر حكماً حاسماً فى الموضوع بالتمسك بزمته التالية فقال : « إن البلاد لا تحكم الناس ، وإنما الناس هم الذين يهيئون البلاد » (٢) . والواقع أن البيئة لم تسيطر قط على الإنسان سيطرة مطلقة . ولكن الإنسان مع ذلك استطاع أن يتغلب على تأثيرها تلباً تاماً . وأوضح فكرة جغرافية فى التاريخ أنها تدرس دراسة متشعبة ودقة عذبة لآلية تأديتها الخاصة وطرقها الفنية العملية — مجالات النشاط الإنسانى ومواقع الحوادث التاريخية : وإلا إزاحنا عن هذه المجالات ومجربات هذه المواقع لا يبرز على أصلنا اللون الخفى لهذه المجالات والمواقع لحسب : وإعنا يربنا كذلك كيف تأثر بها النشاط الإنسانى والحوادث التاريخية : وبما يلاحظ فى عالم الأدب أن تحول الروائيين الواقعيين مثل باريك وفلوير وغيرهما يتجرون بدقة فى توصيف البيئة ورسم الأمكنة والواقع التى تدور فيها حوادث رواياتهم وأقسامهم حتى يشعر القارئ بالعلاقة الأكيدة بين طبيعة السكان والحوادث

(١) راجع من صفحة ٥٥ إلى صفحة ٥٩ من مختصر كتابه « دراسة فى التاريخ » "Study of History".  
(٢) على هذا الرأى من الأفلطون البيئات أثره كيرشوف فى صفحة ٣ من كتابه « الإنسان والأرض » Man and Earth.



ولقد ذهب بعض الفكريين إلى أن التاريخ يبدأ حيث ينتهي عمل الجغرافية ، لأن الجغرافية تتناول الحقائق الطبيعية . ولكن هذا التصور للجغرافية يتوهم النفس : فحقبة أن الجغرافية تدرس البلاد والأقطار من مختلف نواحيها وتحاول أن تنظم علاقاتها المقددة ، ويشمل ذلك ضرورة الحلل دراسة الإنسان . لأن الإنسان عامل في الأرض لا يمكن تجاهله . فالتاريخ والجغرافية كلاما في حاجة إلى الآخر . وقد كانت الجغرافية قديماً تعد السكان وتسمى السرح وتقرء بذلك . ولكن الإنسان استطاع أخيراً أن يكون له أثره في إعداد السكان ونهضة للسرح .

التاريخ في أكثر الأحيان بعيد من الجغرافية ويحاول أن يحلها . وهو دونت عنه الذي يتوهم اليونانيون أنه التاريخ يأتي فيه المؤرخ والجغرافي ، فقد كان رجال كثير الأقطار ، وقد طاف في أقطار الأرض المعروفة في عهده ، فزار عدداً عظيماً من مدنها عظمى كان التي ولد بها بلاد اليونان ، وزار مصر ، وحال في أسبانيا وألمانيا ووزار بلاد الفينيقيين ، وزار بابل وما حولها ، وعاش في كل بلاد القرس . وطاف بمواحل آسيا الصغرى . كما زار المستعمرات اليونانية في إيطاليا ، وقد وسعت هذه السياحات اتفاق تفكيره . وسملت عقله ، وتغذرت تخالجه . وأمدته بمعلومات وافرة . ومكنته من الإلمام بأشياء كثيرة ومشاهدات جمة . وأطلته على مصادر مختلفة للتاريخ . وسرت له استماع أخبار الروايات وقراءة الآثار المكتوبة وغير المكتوبة . وجعلت كتابه شاملاً تماماً لأعله القراء وتذوقوه على اختلاف ثقافتهم وبيان مداركهم ومساكنهم .

وفي طلبه مؤرخي العرب الذين يشبهون هيرودوت في الجمع بين التاريخ والجغرافية المؤرخ الصير علي بن الحسين المعروف بالسعودي . فهو مؤرخ وأخباري من الطراز الأول . وهو في الوقت نفسه جغرافي راسخ القدم عالم

الكعب ، وصاحب أسفار بعيدة ، وجواب أقطار نائية خاصة : وقد سبق للسعودي بعض مؤرخي العرب في الجمع بين معرفة التاريخ والتسكن من الجغرافية . مثل البغوي الذي ألف كتابه المشهور في التاريخ العام وألف كذلك كتاب البلدان . وقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره ، لأنه عاش في الأقطار من حمص . وكان كما رأى رجلاً من تلك البلدان المشرق والقرب سأل عن وطنه ومعهده وأحوال أهله وأختلافهم وعاداتهم في الأكل والشرب ، وأبعاد البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ، ويسوق ما وصل إليه حتى ألف كتاب البلدان . ومثل أبي زيد البلخي صاحب كتاب البده . والتاريخ وكتاب صور الأقاليم . وكان أكثر هؤلاء المؤرخين الجغرافيين يؤلفون كتباً في التاريخ وكتباً أخرى في الجغرافية . ولكن ميزة السعودى أن الجغرافى منه صاحب على الدوام المؤرخ ، فهو ينظر الأمور ويأملها في الوقت نفسه بنواحي الجغرافى ، وهذه الحصة هى التي يؤكدها المصنف بين هيرودوت وبوجه خاص . وهى مائة في الكتابين المذكورين وسلا إلينا من مؤلفاته الكثيرة وهما مروج الذهب والقليوباني .

والسعودى من أقدم مؤلفي القرن الرابع الهجرى ومن أغزرهم مادة . وقد قل عنه محمد بن إسحاق الشيرازى القهرست إنه من أهل المغرب . والطاهر أنه قد أخطأ في ذلك . فقد ذكر السعودى نفسه في الجزء الثاني من كتابه مروج الذهب ماضة (١) . « وأوسط الأقاليم الإقليم الذى ولدنا به . وإن كانت الأيام قد أنأت سينا وبينه . وساحقت مسافتنا عنه . وولدت في قلوبنا الحنين إليه . إذ كان وطننا ومستقانا » وهو إقليم بابل . وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس حليلاً وقدره عظيماً . وكانت عاينهم إليه مصروفة . وكانوا يشنون بالعراق وأكثرهم يصيرون بالجلال . وذلك لما حسن . وهذا الإقليم من كثرة مرافقه والغنائل أرضه .

(١) راجع صفحة ٦٤ من الجزء الثاني من كتاب مروج الذهب (الطبعة الثانية) يصحفي (الأشعار محمد يحيى ابن عبد الحميد) .

وغضارة عينه ، ومادة الوافدين إليه ، وهما دجلة والفرات ،  
 ومحموم الأمن فيه ، وحده الحرف عنه ، وتوسطه الأقاليم  
 السبعة ، وقد كانت الأوائل تشبه من العالم بالقلب من  
 الجسد ، لأن أرضه من إقليم بابل الذي اشعبت الآراء من  
 أهله بحكمة الأمور كما يقع ذلك على القلب ، وذلك اعتدات  
 أيوان أهله ، واتحدت أجسامهم ، فقبلوا من شقرة الروم  
 والعقابة ، وسواد الحبشة ، وغلب البربر ، ومن جفا من  
 الأمم ، واجتمعت فيهم حماة جميع الأقطار ، وكلا امتدوا  
 في الجلفة ، كذلك لقدوا في المطة واتسك بحاسن الأمور ،  
 وأشرف هذا الإقليم مدينة السلام ، وبين حيز ما أصرت  
 إليه الأقدار من فراق هذا العصر الذي غيى خفته فضلاء  
 وفقهائه نجما ، لكنه الزمن الذي من شيعته التشييت ،  
 والصهر الذي من شروطه الإيالة ، ولقد أحسن أبو دلف  
 الصليحي حيث يقول :

أيا تنكية العصر التي طلوت بنا

أفدى نسا في شرقها والغرب  
 ففي يالقي نهوى قصيد طربت بالمر

http://www.alukah.net/beta/الصحائف/الصحائف

وقد ذكر الحسبك - فإخرجنا إليه من هذا المي -  
 أن من غلالة وفاء للرو ، ودولم نهده حينه إلى إخوانه ،  
 وشوقه إلى أوطانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ، وأن  
 من خلاصة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة ،  
 وإلى مسقط رأسها توافة ، وللاب والمادة قطع الرحلى  
 عنه لعله وطنه ، وقد قال بعض حكاة العرب : عمر الله  
 الشيطان يحب الأوطان ، وقالت الهند : حرمه بيلك عليك  
 ككرمة والدريك ، لأن غداك منهما وعداها منه ، وقال  
 آخر : أولى الشيطان ببيتك نك رحت ماء ، وطعمت  
 غداك ، وقال آخر : بيلك إلى موضع مولدك من كرم  
 عديك .

وقد أعاد هذه القصة وخرب على هذا الوتر الحساس  
 في كتابه « التنبية والإشراف » فقال حينئذ تحدث عن

العراق : « والصقع الذي مدينة السلام منه أفضل مواضع  
 الأرض جميعاً في الطب والنفذ ، وذلك أن أطيب خيرات  
 الدنيا عد الأمن والعافية والعز والراحة سلاح الله والهواء ،  
 ثم أفضل أنهار العالم ، دجلة والفرات ، وإن تازع في ذلك  
 أهل مصر وقضلا بينهم ، وأطيب مواضع العلم في كل  
 الأرض عند قياس قسما إليها إلى بعض وقياس بعض البلدان  
 إلى بعض موضع اجتياح دجلة والفرات ، وذلك أن بعض  
 المواضع يطلب سبعة وتقتد بثلاثة لثباتها تنبع فيه من  
 السكاس للهبة والمطلب الصناعية ، لشدة برده ودوام سقوط  
 ثلجه ، ومنها ما يطلب بثلاثة ويقتد بسبعة حتى يشغل الحر  
 والبرد والقي والهوام عن تحصيل الزى باليأس والتصرف  
 في المعين والصناعات ، وبين عليا ما دفنا إليه من معارفة  
 هذا العصر الذي به مولدنا وفيه منشأنا ، فبأت الأيام  
 بطلنا وساخت مسافاتنا عنه ، فبعثت الدار ، وترأخ  
 المزار ، ولكنه الزمن الذي من شأنه التشييت والصهر

الذي من شروط الاقالة ، ولولا الشوق إلى الوطن  
 والخسرة إلى الدنيا لم يذكر ما ذكرناه من هذه

روائع من قلده أنه حرق الأصل والنشأة ، وقد  
 ذكر بقوت في معجزة أنه من ولد الصغاري غيد الله بين  
 مسعود ، وقد جاء مصر ورحل في طلب العلم إلى أقاصى  
 البلاد ، فطاف في فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ ، حتى استقر  
 في إسطنبول ، وفي السنة التالية قصد الهند إلى عتال  
 والصورة ، ثم عطف على كنيابة قصيوز فيسريدييه ،  
 ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين ، وطاف في البحر  
 الهندي إلى مباحسكر ، وعاد إلى عمان ، ورحل رحلة  
 أخرى سنة ٣١٤ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ، ثم إلى  
 الشام وفلسطين ، وفي سنة ٣٣٢ زار أنطاكية والتفوز  
 الشامية إلى دمشق ، واستقر أخيراً بمصر ، ونزل القسطنط  
 سنة ٣٤٥ هـ ، وتوفي في السنة التالية ، وقد مكنته هذه  
 الرحلات الجيدة والأسفار الشائعة من إعادة البعث



والانحصار ، وجمع للمعلومات التاريخية من مظاهرها ،  
والخفايا الجغرافية من مصادرها الأصلية ، وكان على طول  
مفاته للأستار كثير التأليف ، واسع الاطلاع متنوعة ،  
وقد استطاع أن يكتب في موضوعات غني وعجيب بها ،  
والكتابات للثبات وسلا اليأس من مؤلفاته يدلان على تروى  
حدود معرفته ، وتعدد حوائث تفكيره ، فهو يبدو فيها  
باحثاً جغرافياً ومؤرخاً أخبارياً ومكتكلاً جدياً ، مفقاً  
بالفوائد المختلفة والمذهب الثابتة ، وقديماً حديثاً وأديباً  
بارعاً ، كثير المفوظ حسن الاختيار لطريف التوافر  
خائق الأخبار ، وهو على غزارة معلوماته خفيف  
القل ، حذابي الأسلوب ، متما مبدعاً ، حسن السرد ،  
واضح الحقبة ، ليس في أسلوبه التثني المجرى غموض ،  
ولا حياء ، ولا إملال ، بل فيه لغات وإعراق  
وسلامة وبلاغة لم يشهدها الكتاب ، ولم يصدها  
التعمل .

والظاهر أن أولى مؤلفاته السبعة هي كتاب أسطر  
الزمان ومن ألبه الحدائق ، فهو كثير الإشارة إلى  
والإحالة عليه ، ولكنه من أمثلة القصور وخفايا  
الصائفة ، على أن كتابه الحافل المسمى مروج الذهب  
ومعان الجواهر ، يبقى في الدلالة على فضلته وتمكنه وسعة  
فروعه .

وقد أوقف الفصول الأولى من كتابه هذا على ذكر  
البدء والحليقة وفرد البرية من آدم إلى إبراهيم ، ثم تناول  
الفترة بين المسيح والنبي محمد ، وأنبغ ذلك فصل من الهند  
ومدد بحالها وسيرها وآرائها في العبادة ، وتناول ذلك  
فصول عن الجغرافية الطبيعية والتاريخية تحدث فيها عن  
الأرض والبحر ومبادئ الأنهار والجبال والأقاليم الستة  
وما والاها من النكواك ، وكثيراً ما يستطرد في هذه  
الفصول ويذكر عن الأقاليم العجيبة والأخبار للسترة ،  
وقد اختص الصين فصل من فصول كتابه فيه تغدير لبياناتها  
وأخلاق أهلها وسياساتهم ، وتكلم بعد ذلك عن أخبار البحر

وما حولها من العجائب والألم ومراتب الثوك ، وتناول في  
فصول تالية تاريخ ملوك السريانيين وملوك اللوصل وينبوى  
والكلدانيين والفرس الأولى ثم ملوك الطوائف الاشعانيين  
ثم ملوك الساسانية ، وانتقل بعد ذلك إلى أخبار اليونانيين  
وحروب الاسكندر وذكر الدولة الرومانية ، وقد أفرد لها  
ثلاثة فصول : الفصل الأول عن تاريخها قبل اعترافها بالبيعة  
السيجية ، والفصل الثاني عن أباطرة بيضاينة السابقين  
لظهور الإسلام ، والفصل الثالث عن الأباطرة الذين حكموا  
بعد ظهور الإسلام حتى الوقت الذي ألف فيه كتابه وهو  
سنة ٣٣٣ هجرية ، وتحدث في الفصول التالية عن مصر  
وليها وأخبار الأسكندرية ، ثم عن السودان وأسلمهم  
والصقالية ومساكنهم والإيراق والحلقة ، ثم اليمن وأنسائها  
وملوك الحيرة وملوك الشام ، ودولات العرب وأساطيرها ،  
وأخبار الكهان ، والبيوت المقدسة عند اليهود واليونان ،  
والصقالية والفرس ، ثم تاريخ النبي محمد ونشأة الإسلام  
والخدا والنبوة ، والدولة الأموية والدولة العباسية حتى  
خلفاء الطبع ، وقد انعم من كتابته ستة وست وثلاثين  
فصلاً ، إلى أن تأليف هذا الكتاب القيم استغرق أربع  
سنوات .

ويمكن أن يستخلص من ذلك أنه السعوي قد جمع  
بين دفتي كتابه القيم معلومات ضخمة وأخباراً كثيرة  
ومشاهدات غنية ، ولكنه لم يظهر براعة مختارة في تسليق  
هذه المعلومات ، وكانت تنقصه الحاسة الفنية التي تمكنه من  
أن يخرج من هذه المعلومات المتناثرة والحقائق المتناثرة  
كل ما يحتاج إلى أجزاء متناسق الأوصاف ، وكان على  
ما يقهر سريع التصديق ، يموه قليل من الشك وبقلة  
المنسكة القليلة ، وقد جعله ذلك يستهدف لفتات ابن  
خلدون المأذمة في مقدمته ، ورغم ما يتألمه من عيوب  
وما في فيه من نقص فإنه مع ذلك من مؤرخي الإسلام  
الأفئاد المعبودين .



# العامة في التحايا والمجاملات

الأستاذ أحمد طه السنوسي

التي استعملناها بتعبيراً من التوفى لسمها إلى محرم وقائه في هذه الحياة . أليس هذا يدل على تكتيك لهذا الشخص الذي نزهه ، أي أننا نقول له : لا تخزن ولا تفرق الشجن إلى قلبك فإنك ستتم حياة طيبة طمأنناً لا زائد في محرمك من هذا . ليت الزامل : . والعجيب أن الشفق أيضاً كثيراً ما يبنى أن يدفق في هذه البارة فيعرفه يبارها ويقونها كما يقونها الناس في مواقف التعزية والوت .

.. ثم تنتظر لهذا التي يقابك في موسم من المواسم الكبرى كشم رمضان مثلاً ، فتهده تقول لك : ( رمضان كريم ) ، ولست أعرف لماذا يريد بذلك التعزيز . ومن أين جاء الكرم لرمضان وهو الذي يمنع الناس من الأكل ويشل هاهم بالغة من الحر أو قلة من اللذات طوال أسابيع النهار ؟ وإن معنا بأن رمضان كريم قول معنى ذلك أن الله تعالى قد جعل في هذا الشهر من الخير ما لا يحصى . ومن هنا جاء كرمه في رمضان ؟ وإن كان المراد بالكرم الإحسان أو أن الله تعالى يكرم فيه عباده الصالحين أو أنه شمر بكثر فيه كرم الناس بعضهم لبعض . فما دخل هذا كله في هذا الوقت ، وما معنى أن تقول عبارة كهذه في جو التحية شهر كل الناس يسلمون بأنهم مباركة وحليل وكريم لأن الكرم بكثر فيه ؟ ... ولكن للسؤال أن هذه عبارة استعملها الناس قديراً دون تبديل أو تحوير ... واللا حظ أيضاً أن الناس في جو هذه المناسبات يلقى على ملاحقه أو زائره أو مشيقه كثيراً من التحيات والمجاملات والتسليات ، فمن ( رمضان كريم ) إلى ( كل علم وأتم خير ) إلى ( كيف الأحوال ) إلى السؤال عن الصحة وعن فلان وفلانة ، إلى غير ذلك من الأشياء ، وهو إنما يلقى كل هذا دون توقف حتى يعمد للسمع أن يرد كلام من هذه التحايا والأسئلة والتسليات . فيمكنني بالرد على أولها وأوسطها وآخرها إن ما له ألا يلتزم الصمت تجاه هذا السيل الجارف والنيار الضيف ...

.. يلحظ المرء في التحايا والمجاملات العادية أموراً غريبة وظواهر غريبة ؟ فقد نلاحظ العوام على استعمال تعبيرات خاصة لهذه التحايا وتلك المجاملات دون بحث في دقة معناها أو أفعال صحتها أو صحة أسلوبها . وإذا هي سارية معروفة بالناس الحاضرة حقيقة معناها ولو كان أسلوبها مضمناً بالأخطاء اللغوية أو اللفظية أو ما إلى ذلك ...

.. ففي التعزية مثلاً يقول هذا لذلك : ( القية في حياتك ) . والفهم من هذه العبارة أن البقية التي تلت من حياة التوفى ستأتي لك تزيد في محرمك . وهذا كلام غريب لو أننا وضعناه على الأسس العلمية والناجيات الفكرية وفي معيار الدين وميزان الحقيقة ؟ وذلك لأن للفرد في التوفى أنه قد أكل حياته ، أي أن حياته قد انتهت إلى هذا الحد ، فما يبقى منها يوم ولا ساعة ولا دقيقة ، وهو يتبقى شيء من ذلك ليقى التوفى ليسم بها ، هذه هي الحقيقة التي استعملها الله والدين ، والرجل العاقل نفسه يعرفها ولا ينكرها لو سأله عنها ، وذلك أيضاً لأنه في تلك الحالة من التوفى والأموات ، فيقول مثلاً ( فلان محرم انتهى ) و ( زه المحرم معدودة بامر ) .. وغير ذلك من التعبيرات ، ففأما إذا يستعمل ( القية في حياتك ) وهي ذات معنى يتناقض مع الذي الذي يعرفه والمهدف الذي يريد أن يعبر عنه ؟

.. إن السبب في ذلك أنه تعبير نواضع عليه العامة فصرى بهم دون تعديل أو تبديل ودون محاولة لإحداث شيء من هذا القبيل ... ولو سلمنا جدلاً بأن التوفى يبقى من حياته شيء لك وأنت تتوقف في مواقف تعزيتات كثيرة وتقال لك ( البقية في حياتك ) مئات الزرات من الأصدقاء والأحباب والمعارف والأزلاء والخزائن وغيرهم ، فكم بقية تبقى لك وإلى متى تستد حياتك زيادة عن محرم القدر وأعوامك المخطوطة في الكتاب السطور ؟ ثم إننا لو نظرنا بعين الحقيقة إلى هذا التعبير لم نجد فيه أي معنى من معاني التعزية ، اللهم إلا في إرجاء السرور إلى الشخص الذي نزهه بالبقية

ثم حيناً تمنع قليلاً في أساليب العامة حين يريد الواحد منهم أن يتأسف لذات جنده أو خطأ وقع منه فيقول : ( لا مؤاخذه ) وهذا التعبير حى جداً ويستعمل ويتداول في الأوساط الشعبية كثيراً ؛ وذلك يرجع إلى كثرة ما يقع من الناس من أخطاء وما يتأون من ضلالتهم مع سبب الحياة وأهمية اللزوم في البيوت وللصالح وفي الزلم والسيئات وفي المجالس ودور الحياة وغير ذلك من أمثلة الحياة العامة ؛ فجد أن هذا التعبير قد ضرب وجد شاذ ، فالعروض أن قائله يستدر فكيف به على من يستدر إليه لا مؤاخذه حتى ما قبل ١١ له يجرى على ألا يؤخذ ولا يتكلم ، والمضركا هو معروف إما أن يرجو القوم عما حدث ، وإما أن يتأسف لا وقع ، ولكن ( لا مؤاخذه ) ههنا ما فيها رجاء لغوي ولا تأسف على شيء وقع ، إنها إرغام وإجبار ، إنها أمر وإيقاف ، إنها صفة قوة ، وصيغ الاعتذار فيها الرقة وفيها نعمة الاستغفار وبرة الأسف والرجاء ...

ولكن للوقوف أن هذا التعبير الصحيح يستعمل بكثرة على ذلك في ثبات الأخطار حين يريد المتحدث الصالح أن يذكر شيئاً قبيحاً أو أمراً غير محمود أو خطأ وقع فيه من قبله في الحياة أو الآداب المعمورة للصلح على وجه الحياة ؛ ونحن لو بحثنا هذا التعبير في هذا الصنف أيضاً وجدناه غريباً في موضعه عملاً في ذوقه غير ملائم للقيام ؛ ذلك لأن معناه كما يتفق على الناس الاعتذار والتأسف ، ولزمه لا يتأسف قبل أن يقع منه الخطأ ، ولا يستدر إلا إذا نجا بالشأن للوقوف أو الخارج عن حدود اللياقة والأخلاق ؛ وذلك لأن التأسف تابع للخطأ ، والاعتذار يقع عادة بعد الوقوع في ذلك الخطأ ، فكأن المرء يريد أن يذكر أمراً قبيحاً أو كلاماً خارجاً عن الحدود الحلقية للتواضع عليها رغبته ومشيتة أي من محم ، فيعذر قبل أن يتحدث ويتأسف لما سوف يقوله من مطلق الكلام ولقوله ، وليس لذلك الاعتذار وذلك التأسف من موضع مقبول أو علة مقبولة ؛ وذلك لأن الأمر الذي يجرى الاعتذار عن حدوثه لا يقع متعمداً وإلا لما وجب التأسف عليه ، وإنما هو يأتي عفواً وعن غير عمد ، لما وجب الأسف واستحق قبول الاعتذار ، ثم ما دام المصالح يحدث عامياً مثله وقد وجد لديه

القانع لأن يذكر شيئاً قبيحاً أو خارجاً عن ذوق الجماعة واحترام المجلس ، فلماذا لا يستمع ويقول ما يريد ، ثم إنه سوف يقول هذا الذي يريد فلماذا يحذف كل لحظة جملات التأسف ولا مؤاخذه الاعتذار ...

تسبيل ذلك أن ( لا مؤاخذه ) هذه في هذا الجو من المجالس وفي هذا الأسلوب من الكلام شيء يدل على احترام المجلس والمجالسين فيه ، ويدل على جلال الشخصية التي يتكلم ، كأنه دافع على انتباه الحضور ودليل على لياقة المتحدث في جذبهم إليه وإسائتهم إلى حديثه سواء أكان قبيحاً أم غير قبيح ، فبيح ، فسيحاً أم غير فصيح ، وتسبيل ذلك أيضاً أن هذا أسلوب تواضع على العامة وطريقة ذات على مهاجرتها الآاء الغوام في مجالسهم التي كانوا يقدونها وأحاديثهم التي كانوا يقدون بها أوقاتهم ويرثون بها دوافع السليم والشم ...

\*\*\*

هذا قبل من كثير مما يستعمله العامة في تحييلهم وحيلاتهم ، وأردنا أن أشير إلى أن بعض اللغويين وكثيراً من ألسن التقنيين يستعملون هذه الأساليب وأمثالها دون أن يدركوا إلى ما فيها من أخطاء وما يحجبها من مغلل متباعدة ومخاطر بعيدة من مثابة لا يراد . وللوقوف أن هناك من الأساليب الخفية السهلة البسطة الكثير مما يستعمل في جو التقنيين وما يمكن أن يستعمل في غير هذا الجو من أجواء ، والواجب على كل من جالس بتعيب من الثقافة أو نال قسطاً من العلوم سواء العلوم الثقافية أو العلوم الشعبية أن يتبدى تلك الأساليب التالية لما يريد ، وأن يحقق فيما يريد أن يدلي به وأن يكون مدافعاً للأسباب التي دفعته إلى تبذ هذه الأساليب واستعمل تلك ؛ لأن ذلك يجعله دائماً شديد اليقظة والحذر دائم النقص والتدقيق في الأمور ، سواء أكانت تقنية أم عملية ، يحكم قبل أن يتحدث ويتأق قبل أن يقدم ، ويتضمن قبل أن يدلي برأيه ويريث قبل أن يقهر في لغة أوفى محاور وقبل أن يفرق الشيل في مجاري عدة من الأخطاء والأخطاء ...

وأما ما كان من أمر المصالح ، فله يختص ما يستطيع من تعبيرات اللطف والتعظيم في تحياله وعاملاته ؛ وذلك يترتب على حد تفكيره شيئاً مثالياً يدل على الاختلاط بجو التقنيين



والتأديين والتأديين يدل على سعة ذوقه وفكره، فنقل هذه الأساليب الخاصة، كما يدل على مساهمته في مشاركة هذه الفئات من التأديين والتفنيين في أساليب أساليبهم ومجاليهم ومقولاتهم، تريد على ذلك الناحية النفسية، إذ يشعر الماي خسر واعتزاز وانتفاع أوداج حين يستطيع أن يستعمل مجالات هذه الفئات ومجاليها، وحين يستطيع أن يفهم اللهجة التي تقال بها، كما أن ذلك يجعله على في المجلس الذي يجلس فيه أو الجماعة التي يجتمع بها لأنه شئ من التألف والمي، والتشوة مبررة لسهولة الاستيعاب وسيل لأحب للتدوين والتفكير ودافع لحب الأناظر وإعجاب الأناظر، ودافع لتجرب الآخرين إلى الاقتداء به إن وجدوا في ذلك طرفة وحالا وجدته، وإلى الحسد أو الضيق إن كانت الحروب تحمل حسدا أو تعمل في منافسة، وفي الحسد والمنافسة دوافع تدفع إلى التحدث والتنازع وإلى الثروة والأحد والرياء وإلى التنازلات والاختلافات، وعلى هذا كله يقوم رأيي في كل من هذه الناحيات العامة في نحو هذه الجوانب وهذه الجوانب من النفس.

يبد أن الدوس أن هذه الظاهرة في حرج الماي إلى الاقتباس من مواصفات التأديين ومجاليهم وأساليبهم، وذلك للمحافظة على السواد حو العام والاستعداد للرجوع والوازيين العامة والأمور الحسنة والسود في رسم السابقين من أمثال الشعب والعموم، ولكن هذه الظاهرة ترتقي مع الأيام، وذلك لأن الزمن يدفع إلى التطور وموا كدرك هذا التطور، تلك الماي يبدو ملبوساً في كل مظهر من مظاهر الدنيا ومجسوساً في كل تفكير من تفكير الحياة، والدعاء عامل مهم كل الأهمية ومبررة مفهومة لكل الفهم في أولئك الفئات من العامة الذين يشدون لدى أنفسهم دوافع الاقتباس والتأخذ من أجواء أهل العلم والثقافة، والمجمل منهم أن يسمدوا أمام عاصفة زملائهم العامة إن أثاروها منهم وأمين إياهم بالخروج عن حدود اللياقة والمطرسة والحفاقة والنسبة بأولئك الذين روى هم أياهم إلى القدرة فطرتهم مائي الفرققة، والتفاعلات وعندهم قراءة السكت، وربما كان فيها من السداد والإقصاد ما لا يدون وما لا يدون أن يستمعوا إليه، بيد أن ذلك أيضاً نادر، أي أنه ليست هناك عواصف كثيرة تثار أو تهب في أولئك

(المجدين) في مواصفات الحياة النفسية، وذلك أيضاً بفضل التطور وغسل دمع الزمن والدفع الجود والتنازع صيغ الحضارة والتفكير روياء روياء من احتباس الأتقي وتقياب الطغلات ...

... ولحقاً أن يقول: إن تعال المانية ومجاليهم قد نواصوا عليها وتناولوها من قديم، وكل واحد منهم يفهم مدلول كل منها حق وإن كان لا يستيع ذوقاً أو يقبل منطقاً في جو الثقافة والتوسع في الإدراك، ولا بهم أن يحذوا هذه الأساليب أو أن يصلحوها، بيد أنني أستطيع أن أورد على هذا القول بأنه قد نسي أو تناسى ما يفرسه التطور وما تتطلبه اللبنة والضافة في عصرنا هذا، كما أنه قد نسي أو تناسى أن المرض في هذه الحقبة الجديدة من الزمن أن تاتي ونسي في رقي الفئات التي لم تدل خطأ من التوسع الإدراكي أو التفكير الثقافي، وحسباً أن علم أن ذلك جرح عدا إلى الشكل هذه الفئات العامة من جو فيه تناقض في الحياة والواقعة، وأزبد على ذلك مفسد أن ذكرت من الفئات تلك في دفع هذه الفئات إلى الحذر واليقظة وما إلى ذلك من حيل وأساليب ومواعي الرقي التكري في التنازع هذه الظاهرة في عدة الجوانب، ثم إن الماي نفسه لا يشك أن منطقتي من نفسه ومن زملائه النوام حين تذكر له تناقض أساليه في الحياة ومجاليها، وحين تفد له هذه الأساليب والتعاير عا وعبت من مقدرة وما أوتيت من برهان وما اتسم به منطقتك من حجة وإقناع ولما لك من بيان وتأثير ...

... إننا نأسف على جو هذه الفئات العامة في الطرافة الثقافية والفكرية التكري، ولا نأسف على إبادة أ لأن لدينا مواها ما يتقبل العقل واستيعابه اللطفي، ونلتزم معه اللوي الإنساني السجام النحل مع زعيرات الرياض، ولأن هذه الأساليب لم تكن غلج للفرقة والطرافة إلا حين غبط القام عن تناقضها العميق وشروطها اللطفي، وقبل ذلك كانت منسقة مع دوق العامة مبررة مع مدلولهم منسجمة مع أمتهم جارية مبررة في أجواء اختلافهم ومجاليهم غير قابلة للتنازع والحث والتدليل، وتعبير أدق لم يشكر أحد منهم في غير ذلك ...

أمر طه السمريني

# الخليل

للأستاذ عبد السميع المصري

أذاك القوام ومن حسنة قيل التصون له مشفرة ١  
أذاك السفاف وما صفا نقره للقل الناطرة ٢  
أو قوله في أخرى :

فاني من جملة الوجه طلقاً  
لا يلقى والقدر لداً رقيقاً  
فاني عقلها الذي يسدح الحيا  
طر روحاً وجعلاً وصوراً  
فاني شديداً للسرير كما

نظم عقلاً في جودها مندوقاً  
فاني لعلها التي يمشي نوحاً

و لو شاء أمشي التوفيقاً  
فاني لعلها التي يمشي نوحاً

ومررت على الدنيا فبها واحدة العالم دينة المخلوطا ،  
فقد يقول :

لها شعر كالليل يجلو سواده  
يباض نهاره بين التوحيها

وعينان كالنجمين في حلك الدجى  
عما عصمة الدنيا وتحتوها

ولعذاب أجهل نكال أشده  
مصنعة غرام تحسك غنمه

ومترج عن خالي الحاج حازن  
كأن القوي قد يت فيه شدة

وحصر إليه يتنوع رحيه سدرها  
وقد دق حتى خيل بالثوب أربعا

فوزت أقيمت لالعين ألقه الجنى  
فقال فليلاً واسوى متوقما

- ٤ -

## المرأة في شعره

لقد عاش مطران حياته عزاء ، ورغم ذلك فقد كان  
المرأة أهمي الأثر في حياته وبالتالي في شعره ، لأنه عرفها  
ودرسها ، وأشاد بكنائنها عذبة ، لكاد لا يرى مثله في الشعر  
العربي من قبله إلا نادراً .

والشعر العربي القديم في المرأة لم يكن حتى غالباً  
إلا يفتن جديدها ، وأنت لا تكاد تجد بين جيلات الشعر  
القديم لأنهم كهن ذوق وجوه كالمهر أو المشهور ،  
وشعر كليل ، وجين كلفصيح ، وعند كالمهر أو المشهور ،  
الأوصاف القليلة للوحدة .

والمرأة في الشعر القديم غالباً ما تكون مبهمة ، لأنه  
( ليس مستوجب البيان بين ) ، أو كما قال النسي . مشبهاً  
الفتيا بالمرأة :

فهي معشوقة على الدوام لا تحفظ عهداً ولا تهم وصلا  
ديم العائيت فيها لما أورد لها أنت اسمها الناس أم لا  
أنا مطران قد درد للمرأة العربية كرامتها واعتبارها .  
وأشاد بكنائنها من المجتمع في شعره حتى قال :

إن لم تكن أم فلا أمة وإنما للأهبات الأم  
وأول ما بلغت النظر في شعر مطران أنه حتى يمشي  
المرأة قبل جديدها ، ويتم يمشي عذلتها قبل جمال جسمها ،  
وما أروعه في ذلك حين يقول :

أناك الطيبين وبوره يثل أفكارها الماطرة ١  
أناك العيون وأولرها مرأى لأفئدة المارحة ٢  
أناك الشبلد وما قبلها سوى الأم والمملوثة ٣



وسعد بجوارها وهماً نصيراً له أثر في حياته كبير ،  
وذكرى لم تنمها الأيام ... ذكرى ذلك الحب الساذج واللاهو  
البري .

هل تذكرين ونحن طفلان  
مهماً يزعلنا كله غم  
إلا يشفى في الكرم طلائع  
بشاشكان وبأش الكرم

\*\*\*

هل تذكرين بلادنا الحبا  
حين التنقاف أطايب العنب  
تعلى إبتساعات بها ثمن  
وبنا كنشوتها من الطرب  
لكن الصبر لم يخل من هذه السعادة ، فاختطف هادي  
الطائر صرخاً وأحلب الطائر نوعة وأنى صاحبه ما بقي من  
الصبر ، وكان الصبر قد غلر من هذه السعادة كما يقول

أشرف  
كأنه كفى دوساً غشا  
هل زهرى لمصر نحاتنا  
هل حبسنا برحة نسا  
ولنا نسا لنا عناقنا  
نور الترام مع السدى اللبي  
تت معانينا على قنار  
فصحت عطشاً طيرة القيسر  
أودت معاً بالعين والأثر  
والميلات البالي من المير  
ذكرى ونصرة لدى لب  
ماتت وكل ضاحكة جيل  
ما لورى ولوت من جهنوا  
لا قلب يكبهنا ولا مفسد  
بل نلها والثلث والأمل  
وعساها وطهارة القلب

وقد عرف مطران الرأفة من الطريق الطيب ... طريق  
الحب ... لقد أحب مطران معلماً ، وملاً الحب شغاف قلبه  
ولرائع حياته ، وصنع نصيبه ، ولون شعره ، حتى إنه ليحيل  
إلى أن الحب كان أشد حياة مطران وأن حياة مطران  
لم تكن إلا دعوة مصداق للحبة .  
وهو القائل :

سوى الحب لا يشق القواد للكشا  
ولا بين - الماء وإن كان مؤثماً  
وما زال دوا القلب الحلى من الموى  
كغشاق لا يروى له موزة غشا  
هو الشعر كاليفر يكسح الورى  
يليل من الأحسدات أفكر أعيا  
قد أسعد الرومين أن يتلاقوا  
ويقتنبا فيه الأنى والنعسا  
كما يتلاقى في طريق عمرة  
غريمان ثالث ثمة الحب  
وكم عاشق يسأل رزايه بالموى  
وقد يشفى وجع النفس لوما

كذلك وعمر رفته حسن كوكب  
فأرجه ندى ونبهه في الدنيا  
ولئن قلب مطران قد هنا لكثيرات من النساء فقال  
لمن شعره ، لكنه لم يتعلق سوى واحدة ، ولا عك في أنه  
عرف غيرها ، لكنه لم يحب سواها ، ولم يخص الموى  
إلا لها .  
وقصة هذا الحب طويلة - وسأولدها منقصة في ذواته ،  
ولو أنه أقرد لها في الجزء الأول قصماً ختماً بعنوان  
( قصة عاشقين ) ، لكنني أعتقد أن هذه القصة أطول بكثير  
من هذا القسم المحدد من الديوان .. إنها القصة التي تأسست  
في صدره بأما عين التي برز الحنية ، وقد لعلها نعمة  
فقال :

أفندي من لعنها تحفة مطلب وردا  
فتت الوجنة ورداً فأتت رشف نهبنا

وقد خارج مطران من موطنه بسبب هذا الرجز . كما  
يظهر في قصيدته « مشاكلا » :

أرى مثل شهيد في الشوك

أحله به مشل به حلي ؟

يوم عباي من وجهه

ويهرب من هبته هرب ؟

وتجأل حسدا للفساد الرحب

إلا سنة فهو لم يرحب

وتأجبت نيران هذه الشعلة بفعل التراق ، فألحقت

مشاعر مطران ، وأضئت دهرآ طويلا . حتى « اطلت غصه

الأس » ، واضططت نظرت للعباءة صيفا التشاؤم ، وعظم

حزله على حبه . حتى حال كل الوجود حزنا . فاطر

إليه نصف الغروب الذي تضي به النجوم والشعراء :

والغروب وما به من شبر

استهيم « صبرة » للسرور

أو ليس زحمة قلبك وصحرة

تقتس بين « صبرة »

أو ليس طمعا للذين ومعضا

لذلك بين خلال المشاء ؟

أو ليس عموما للوجود إلى مدى

وذلك لعلم الأتسباء ؟

بل حتى لاوت غدا لسه قال :

من بالثوت لوالتر صبة

ذاك الأضالع مقل الجنب

لست الرزقة فيك أودت في

فلموت من أئني ومن كروي

وفرغت من تنس إلى روي

وهو بعد تنس إلى في صبة أخرى :

إن لي في القيب إغاة قد نأى على قصورا

حيث من الإيالي من الصبح للسمرا

ولذا أودركته أنفأ ش من ودي البحر

والحسدنا فلفطرسنا تخرج روحين سودا

وظل مطران سائقا لهدمه « أكرأ حيه » ، وإذا كان  
حزله قد تنافس مع الآلام إلا أن شلة الحب بقيت مضبوطة في  
قلبه تنعكس أشعها على أعماره رقة وعذوبة .

## أعماله

قال الخليل :

وظل الرء في دنيا من شغل إلى شغل

يُجسد من وعقلها بحر الأعوام كالخلس

ومن حنة إلى سنة يعاودها بلا ملل

ثم أتى إلى يأس ومن يأس إلى أمل

ولا سعد ولا ملو ولا يجد سوى العمل

وقد تمل الخليل ما قال ، وعاش حياته مجدا في العمل .

فأنتج كثيرا في الشعر والأدب رغم مشاغله في دنيا

المسقة وذلك وميادين الاقتصاد المختلفة وإدارة المشاريع

للنوعة .

استمر الخليل رغم هذه الشاغل أن يهوى الأدب

الروائي ويؤلف القصص من أعمال أبناء الغرب ( كتابي القريد

في صيغة ) والرواية ( خرائط ) للككتور هجو . وترجم

ليكتور سرجيت ( السيد ) و ( صبا ) و ( بولسكيت ) .

وترجم لراسين رواية L'incomparable Dérénice

ولتكبير رواية الخالصة ( غممة ) و ( ماكت ) و ( ميليل )

و ( الأمير البندقية ) و ( الملك لير ) وغير ذلك من الترجمات

كما أصدر كتابه ( مرآة الآلام ) .

وكتب في غير الأدب فترجم « تعليم الإرادة » لابو

و « التاريخ الطبي » للكتور ديري و « الوحد في علم

الاقتصاد » و « الأحوال الزراعية في القطر المصري »

وأخيرا أصدرت عدة تكميل الخليل ديوان شعره كاهلاء

فما أخرى الخليل أن يوصف بقوله :

أبنت ذكرك في الفسح كرمأ

وقدبت نجدا وارتحلت مقبا

خير الجميع المعري



## صور طريفة من معلقة قديعة

الطبيعة

الأستاذ جمال الدين الرمادي

فلنلق امرأ القيس على في الصحراء رويداً رويداً ،  
ولنقف عند منابع الحسن وسابع الخيال فيها ، لا تقي ، إلا لأنه  
قد وقف على معين من تلك غلا فربته ، ولا تقي ، إلا أننا  
ربط أن لنهر هذه المعلقة طابع أليام نصيبها من الحسن  
والجبع .

تدعى امرؤ القيس بوج البحر أشية : مستع بخرق ،  
والعلم بدماءه واستراحه يجب أن تصور الصحراء القفر  
المطيرة التي لا تقع فيها إلا على الرجال الصغراء والسياء  
الزرقاء ، أو أشياء التي تغرب عليها في أيام الأرض ،  
والشعر الملقط . وقد امرأ القيس بشية الليل في هذه البيئة  
المحدودة بالبحر . . .

ليس من شك في أنك توافقني على أن هذا التشبيه  
مبتدع مخرع ، لأن امرأ القيس قد طوف في أنظاره  
وشاهد البحر قرصت صورته في ذهنه حتى إذا جاءه إلى  
وطه ، دلفع إلى هذا التشبيه طلقاً . . .

وسدقني أنها القري : المزي أن لا أذكر هذا البيت  
إلا والحظ على لغوي ابتسامة عريضة أخاف أن تتحول إلى  
ضحكة عالية مدوية في أرجاء للسكان ، ولست أخاف أن  
أضحك لأن هذا البيت صعب حتى إنه يثبت على ابتسامة  
الرائد ، أو قبيح حتى إنه يدنو إلى ضحكة الاستهزاء ، إنما  
أبتم وأخاف أن أضحك لأنني أذكر ما كان بين غزو بني  
العاص وعمر بن الخطاب بعد أن مات امرؤ القيس بأعوام  
طوال في وكوب البحر وغزو مصر ، والغرب كانوا يرهجون

... ويرش الليل مدولة على امرؤ القيس ويتقدم عليه  
عبيداً قديماً ، فيضي في القلاة هبان الخليل يث الليل ما يعلج  
في قلبه وما يخفي في صدره من عواطف ومشاعر ، أرحى  
الليل عليه مدولة كوج البحر لهذا قدماً صغراً ، أصبر  
أم يقنط ؟ أم يحزن ؟ كان امرؤ القيس أسرع إلى  
القنوط منه إلى الصبر ، وإلى الحزن منه إلى الفرح ، قدما  
الليل أن يسرع في سريانه والزمن أن يسرع في جريانه .  
ولكن امرأ القيس تصور أن الليل لا يدم رجلاً إلا ليؤخر  
أخرى ، ولا ينض إلا ليهبط ، ولا ربح صبره إلا ليقبض  
صدوره ، ولا يأتي إلى وسطه إلا ليرجع إلى أوله ، فيقلبه  
امرؤ القيس أن يسجل وأن يقتنع من الخلق ما يشرقي  
سبح ، ليس كهذا الليل الذي تحببت فيه المقوم وتكسبت  
فيه الأفراس .

ولكن امرأ القيس يسرع إلى الليل وهو لا يسمع ،  
فتجوده قد وقفت في الساء لا تحرك ولا تتقل ككأها قد  
ثبتت بقتل حكم إلى ملود ضامخ ريسخ في قلب الصحراء .  
ذلك الظلود هو يذل ، وكان هذه المجموعة من النجوم التي  
يطلقون عليها الثريا قد عسلت بأمراس كنان إلى أسجار  
صخرية صاء ، فهي لا تحرك جهة الجبين أو جهة اليسار ،  
ولا تتقدم إلى الأمام أو إلى الخلف ، ماذا ؟ ها هي ذى النجوم  
الواقعة قد سارت ، وها هي ذى الثريا الثابتة قد تحركت ،  
وها هو الليل القابع قد ارتفع وابتلى أول خيط من خيوط  
الصباح ، والسكب التوز على امرؤ القيس لمصر ، وهو  
يشي في الصحراء رويداً رويداً . . .

البحر . عمرو بن العاص كان لا يجد دافعا لهذه الزفة ،  
وعمر بن الخطاب كان يجد دافعا لهذه الرحبة ، فقام بين  
الاثنتين نقاش عفيف وجدافا حاصبا . عمرو بن العاص  
يريد ركوب البحر ويخزي الحبش على ركوب البحر ، وعمر  
لا يريد ركوبه ويخزي الحبش في شيء من الحدة وشيء من  
العنف . ولم يقدح عمرأ من هذا الجدال إلا ذلك الوصف  
الأدنى الذي وصف به البحر ، وفيه أنه خلق كبير يركبه  
خلق صغير وما إلى ذلك ، واستطاع أخيرا أن يأخذ السباح  
من عمر ركوبه مع من أراد من جسده ، ولكن عدم  
ركوب البحر لا يمنع من معرفة البحر ، ولكن هذه المعرفة  
لم تكن إلا لفظا ، الشعراء الذين ملووا في الأفاق وجاؤوا  
شق الأمشاط وعلوا السواحل والشطآن وعرفوا غيبا عن  
التجارة بين البلدان ...

وامرؤ القيس بعد ذلك التشبيه البديع المتخرج يصور  
هومة وأجبانة التي ألقاها عليه الليل ليعر حل رأس أم صبر  
وهل يشعل أم لا يشعل وصور حدة مع الليل في أسلوب  
قصص لطيف مرفق كآلة عمر بن أبي ربيعة وعمر بنوف  
في أسلوبه القصصي الجليل شعره ، وهو أسلوب القيس الذي  
وقد حفظ بشدة على السكون في معنى سهل رقيق وإلى كان  
في معنى صعب خشن ، ولكنه لا يلت أن يسهل وأن يبين  
في البيت الذي يليه حين يدعو الليل إلى الانتشاع والانتشاع  
الذي يصحبه الصباح السجد فيمضى الليل والليل جميلين  
والبحرين

وتشبيه النجوم في ليلاتها كأنها قد شمتت إلى طود  
خامخ تشبيه مصيب كل الإسمية بين لحنه الساعد الذي  
خال به الأرق في زوال الليل وبين نهات النجوم في عيبه ،  
وأنت تستطيع أن تقول هذا التشبيه كما قاله امرؤ القيس  
منذ قرون قتال اليوم إعجابا وتقدرا مستطابا على شريطة  
أن تغير لفظة ذيل النورية على أصابع أرباب العصر الحديث  
النورية من أصابع أرباب العصر الجاهلي ، بل إلى أذكر أني  
قرأت فيكتور هيجو الشاعر الفرنسي الرومانسي الشهير  
قصيدة فيها بيت بهذا المعنى يصور فيه الليل في التلال بين  
مونتزون ومانت لو في فرنسا .

وكذلك اعتقد أن تشبيه امرؤ القيس قريبا لتشبيه رافع  
ما في هذا شك ، ولكن امرؤ القيس انتقل بعد ذلك إلى وصف  
لقبته وهو يحل قريبه أو قرية محبة بتغير أدق ، وعنى في  
رحلة عمر واد هناك ما كثر في العير الوحشي لا يتفتح به ،  
ولكن ما هذا الصوت البعث الشكر الذي يأتي من بعيد ،  
فيضي إليه امرؤ القيس ويسمى حتى يدنو منه ...

رأى ماذا وجد امرؤ القيس ، إنه ذهب يعوى كالرجل  
القاهر الذي يقامر مع أنه صاحب أسرة وصاحب أبناء ،  
يسمى امرؤ القيس إلى الدب غير هباب ، ويسمى الدب إلى  
امرؤ القيس غير هباب ، ويدور بينهما حديث عجيب .

امرؤ القيس لا يبقى عن الدب شيئا والدب لا يبقى عن  
امرؤ القيس شيئا . امرؤ القيس يطلب امرؤ . والدب  
يطلب امرؤ . فلن يتبع أحدهما الآخر . ومن طلب من امرؤ  
القيس شيئا لن يثله ومن طلب من الدب شيئا لن يثله .  
لن أبقي من أحدهما حيا فقد حب ومات حزلا ...

للقب عند هذه الأبيات وقفة قصيرة ، فقد زعموا أنها  
ليست لامرؤ القيس ، إنما هي لتأبط ثيرا أو الشفري من  
سماطيك القوب ، وهو زعيم أصبح أنها ليست له ، لما عرف به  
المرؤ القيس من السوء واحد ، ولكننا ذكرناها في العلاقة مع  
شمال في الأبيات التي تنسب إلى العائفة ، وعلى أنه حال فلا يأت  
تدل على البؤس والتفر ، والشاعر يحمل على عاقبة قرعة كاشع  
وجوه القوم عند الرجل ، والشاعر يشد الوادي القفر يحوف  
العير الوحشي الذي لا يجدي قبلا . والشاعر يطينا فكرة  
خيلة عن الصحراء وما فيها من حيوان كبير جاسر كالذئب ،  
وعن حياة العرب بين حر وقر ، والشاعر يصور الحديث  
الذي جرى بينه وبين الدب في المألوف قصص لا تفو عن  
جاذبة ، ويبين أنه لا يملك لذت شيئا كما لا يملك الدب له  
شيئا ، مما يدل على الآخرة ويتم عن القبط والجرب الذي يتغل  
في الصحراء ، والاستتار الذي يتغل في خلق كل منهما لضباب  
كل ما يظفر به ويستحوذ عليه . وقد كتب البحري في  
العصر العباسي قصيدة يصور فيها ما جرى بينه وبين الدب ،  
تعد من برامحه وبذامه ، بل إن شعراء العرب قد كتبوا في  
وصف وركاء حيواناتهم فصلا شئ ، فليس هذا القص عيبا



أو طيشاً ، وليس هذا اللون غريباً أو عجيبة ؛ ونحضر في الآن  
 خمسة اللورد يرون الشاعر الإلهامى القانع الصيت يوجهها  
 إلى كلبه الولي الأمين .

لنرجع إلى امرئ القيس وهو يحدو بحطباً صهوة  
 جواده الضخم القمح ليدرك الوحوش ويقرب منها ، أو يصبح  
 قنبراً أهمل منها كما يقولون ، أو يصبح تشابة القيد منها ، كما  
 يريد أن يقول امرؤ القيس : والطير لا تزال في أوكنها في  
 قنبر الجبال ، وفرسه هذا يصلح للكر ، وصالح الفرس حسن  
 الإقبال ، حسن الإقبال ، إذا ما عدنا هذا كانه صخرة شاه  
 قد حبرها السيل من القنبر العالية ، وفرسه هذا أملس  
 الظفر ، وعلى ضموه ونحوه إذا عدنا جاش صوته كما يجيش  
 القدر في غلبتها ، سول سلس العدو ، كما يسبح السحاب  
 بالمطر في سهولة وسلاسة وإسرا ؛ على حين أن غيظه من  
 الأفراس غتر قوتها ، وبني خدوها ، وتبر حوقاً هماً كنيهاً  
 وغباراً منقياً ، وتزكن بأرجلها وكذا إذا عدت في أرض  
 غليظة ، وفرسه يربيع حتى إن اللام الخفيف إذا ما امتلئ  
 صوته سقط ، والرجل الضيف إذا ما امتلئ صوته

لم يزل أن يصلح ثيابه ويعدل قوامه ، وهو على صريح  
 خليف كاشغروف الذي يلعب به السبي ، فكان له كدفع  
 قتي وساقى غامية ، وكأن جريه جرى اللهب ، وتطوونه عيوب  
 وله الثعلب ؟ وفرسه ذنب ما يبع صاف يعذر بين رجله  
 لا على خاشية ؛ وإذا كان قنبراً عند البيت غير مرجح لاح  
 ظهوره أملس ، كذلك البروس في مناهها وملامها ، أو  
 كالفلاحة التي يمرض فوقها الخنظل فيلع ويسطح .

والواقع أن هذه الصور التي أتى بها امرؤ القيس في  
 وصف فرسه صور فيها كثير من الحركة والحياة ؛ فرسه  
 يجيش دون أن يستتبه على الجري ، أو يفرعه بالهوب ،  
 وهو سهل الحركة ، كما يسبح للاء من السحاب في سهولة ؛  
 والجواد حين يسقط الخفيف ويؤرجح الخفيف يفتنا إلى  
 استحضار صور عدة ذكر لنا امرؤ القيس بعضها ، ودفعنا  
 إلى ذكر البعض الآخر ؛ الجواد يبدو وعدو والغلام لوقه  
 يحاول أن يأخذ جمه قوته ويحبط أترانه ، فيقبض على زمامه  
 ويشتد في قبضته ، فلا يخلع في شيء من هذا ، ولا يلبث  
 أن يهوى على الأرض متدحرجاً متحطماً أو كالخنظل ؛

والجواد يبدو بالخنثى الثقيل وهو يحاول أن ينسحب فاقته  
 ويعتدل أطراف نوبه التي تحلبها الريح حذوا وتنبهها دفعا ،  
 فلا يستطيع أن يفعل شيئاً من هذا ، ولقد أتى امرؤ القيس  
 بعد ذلك بتشبيهات حتى لكشحي الفرس وتظهره ، وأكرم  
 القنبر يا سيدي أنك سمعت هذه الأوصاف التي لا نهاية لها ،  
 ولكن صدقني يا سيدي لو أن شاعرًا صنع هذا المعاني القن  
 أرادها امرؤ القيس في وصف حلبة من حلبات السباق في  
 الجزيرة ، أو مصر الحديثة ، أو سنووتيج في أستراليا  
 سلس وامنح قرب الأقطابنا وجهنا إليه شأ ، ولما وجدنا  
 في شعره طعناً ، وصدقك كذلك يا سيدي أن هذا ليس  
 عبثاً ، أو ما يشبه العبث ، وليس طراً ، أو ما يشبه الطهور ،  
 إنما هو جد اقتد ما يكون الجدة ، لا في الأدب العربي عجب ،  
 بل في الأدب الأوربي أيضاً ؛ فقد قرغت منذ يومين عن  
 قراءة كتاب في صفات الحمار ألوان أحد الكتاب الحديثين  
 في إنجلترا في حوالى خمسة مائة مائة واللوحات والصور .

جمال العربية الرمادية

## مجلس مديرية الغربية

يقول عطاءات ثمانية للمائة ١٢  
 من ظهر يوم ١٣ ( ثلاثة عشر )  
 شبتمبر ١٩٥٠ عن توريد الأدوات  
 للمدرسية اللازمة (١) لمساعد مجلس  
 مديرية الغربية (٢) وللزراعة لمساعد  
 مجلس مديرية القوادية ، ويمكن الحصول  
 على الشروط والكشوفات الخاصة بكل  
 مجلس على حدة مقابل إئتم  
 ريد يسيلع ٥٠ ملجم لكل حنطة  
 بضاف إليه مبلغ ٥٠ ملجم أخسرة  
 ريد . وتقدم الطابات على غرضها  
 دمنة .

٥٦٦١

## قصة بيتر إيتسون

للكاتب الإنجليزي : جورج دومورييه

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

ملأوا طرفاً ورقاً . وكان هناك ألباناء ولداه في القصب ،

وهم هناك الهبة والقوادة .

وقد صحبت ذكريات تلك السنين فناناً في مراحل حياته .

فصكت له تلك الذكريات كقشرة الشمس التي تضيء في دماغ من القلم .

وكانت كل مرث خاطرة تذكر تلك الأخويات القرنية

التي خرج الرزق إلى أبواب السموات العلل . ثم تذكر

تلك الحداثة التي كانت مزاج آرائه ، ومزاج أخلاجه . ثم

تذكر للسلامة ، تذكر ( أول ) التي كأنها كان ماؤها

من فريانه التي تاتت بعده ، لم ترمي قنينة أسرارها

www.alasra.com

وكان أحب أصحاب إليه ، وأزهره ، وآثره عنه ، هم

( آل سراسكة ) فشكل الدكتور ( سراسكة ) وزوجته

الإرتدية ، البقرة الشكل ، العظيمة الشكون ، وأختها

( ميسو ) الطرقة القدماء ، على الرغم مما بها من عزالة —

كان أولئك الثلاثة كأنهم نجومه وأعله .

وكان ( جوجو ) هو القاب الذي كان يتسمى به الصبي .

وكانت الفتاة ( ميسو ) أحب ( جوجو ) عند النجوم والجص .

والتراب .

وكان ( آل سركية ) والمخيطون هم يزلزون بها بينهم

حققة ، لها الجاني ، وفيها الخير . وفيها السعادة .

ولكن المهر نصب بسعادة الصبي وعذاته يوم قل

أبواب وهو يقوم بجريته الشراع له ، كان يأمل أن يعود

عليه بالزاد المعين .

قال الكاتب :

إن هذه القصة سجل حوادث وقعت لرجل كان ذليل

مستلقي من مستشفيات الأمراض العقلية . وقد نحيى به

إلى هناك لجوذة أجرتها . فهو إذاً ذليل من التزلاء للمرمن .

وقد سجلت هذه الذكريات وقتاً رغبة أبدأها ( بيتر

إيتسون ) وهو في ساعة الاحتضار . وطلب أن يغير تلك

الذكريات كما كتبها كاتبها أول مرار .

وبذلك فإن ( ماديح بلنكت ) وهو المؤلف

من فريانه التي تاتت بعده ، لم ترمي قنينة أسرارها

براحة الموت .

واستعرضت تلك الرأفة ذكراتها عن ( بيتر إيتسون )

الذي عرفته يوم كان طفلاً في العهد . فقلت : إنه كان طفلاً

لم ير شيئاً أجمل منه أبداً . وكان تطعمه الروح . وكان

طرباً ذكياً .

وفي النسخة المطبوعة التي أُرَكِّها لها جعلت القصة تناولات

( ماديح ) الأسماء بالتغير والتبدل . وقلت من حسن الحوادث

التي لا تقاء لها بالخلف والثير ، وهي — فبا خلا هذا —

قد أبحث الرسالة كما جرى بها فلم يكتبها .

وكان اسم صاحبة أول أمره ( بير سركية ) لا ( بيتر

إيتسون ) كما تسمى فيما بعد . وقد عاش أيام طفولته الأولى

في مدينة ( باس ) وهي ضاحية من ضواحي باريس ، وكانت

تلك السنين مدينة بالخير والبركة . فشكل هناك أقرانه

وقريبه الذين لم يزلوا أطفال . وكان هناك جيرانه الذين

ثم لحقت به (مدام باسكية) بعد حين ، فبقى الصبي  
يأبى مراجعة البيت .

ثم انتقل ليوبيلي في كنف أحد أقرباء أمه ، هو  
(الكولونيل روبر (إلسون) الذي كان قد أحب قبا  
مضى (مدام باسكية) ، ولكنه خسرها ليقتر بها والد  
(جوجو) .

أما الفتاة (ميسى) ، فقد كاد الحزن يبتلعها يوم  
فارقها (بير) وانتقل إلى إنجلترا .

وأمر القبح عليه أن يخلعه بسبه ، فأصبح الصبي  
(جوجو باسكية) يسمى باسم (بيتر إلسون) .

والى الصبي في إنجلترا مستوفياً من الدار ، وظل أوثقاً  
من الشقاء ، فكان يكره الوصي عليه كرهًا شديداً ، ذلك  
لأنه كان رجلاً وسعياً شامخاً ، وكان غشالاً ظموراً ، وكان  
يجمع بين القوم والحسة ، وكان - كما عرف الصبي يوم  
كبر - خائفاً فاجراً . فقد ظن أنه من الخصائص العائلية  
بذاتاً وذكوراً ، وقد ظن أنه من عرق من لم يهمل في الحيا  
عمره من .

والتحق له أن رافض ذلك مرة أول مرة ثانية ، وكانت  
من السيدات الفضليات ، ثم قامت بينهما أوضاع الصحة ،  
لم يكتف بأن يخطب وعده لها بالزواج ، بل زاد على  
ذلك بأن رماها كدأاً بأشنع التهم ، ولما بلغ (بيتر)  
بلغ الشباب خلف وراءه هذا الرجل وسافر ليقتحم  
جديداً بعدم سبة واحدة في جيش الملكة كواحد من  
الفرسان .

ولما انتهى أجل الخدمة تلتذ على مهندس معماري أجيد  
(مستر توتوت) وقال معه يدرس وحمل في مدينة  
(بنوتويل) وهي تلك المدينة الصغيرة التي رايت عليها  
الكتابة .

وشب (بيتر) فني ، وضمرة الطلعة ، صحيح الوجه ،  
ويطالع الحظي ، سبط القوام ، سوى الخلق ، ولكنه كان  
يجمع إلى ذلك عباء شديداً ، وفردة إنساني ، فأصبح

يتأذى عن الطلاق والأصحاب ، وكان يحس لذلك شقاء  
لا حد له ، وكان يدم الناس والزمان ، وكان عن شبه  
غير راض .

ثم علق بالقنول ، ولكن ماذا تفعل القنول بين  
انقطع عن الناس ، وانقطع عنه الناس ؟

والتحق له أن رأى لأول مرة (دوقة تورز) وذلك  
يوم كانت في حلبة الرابطة ، قامت في بيت مرسى بيوت  
الاستغرافية ، وقد جن الفلق بالسوق لأول ظلمة ،  
ولقى بها ، وأصبح عند هواها ، ولكنه لم يتحدث  
إليها ، ولم يكن يأمل أن يراها مرة أخرى ، ولكنها -  
على الرغم من ذلك - قد ملكت عليه له ، فكان  
يراه في أحلام اليقظة ، وكان يراها إذا لها وأخذته سبة  
من النوم .

(أشبهت القلب هوى روح فيه وهي)  
وأخيراً استطاع أن يجمع دألاً ينطبع به السفر  
إلى باريس ، فها هو ذا إلى (باريس) وهي تلك الناحية  
التي كانت تسمى مطوطة ، ثم يعرفه أحد غير ذلك  
الذي كان يقيم في باريس ، كان يغضب عليه الأقميص أنهم  
مطوطة .

وفي باريس رأى (دوقة تورز) التي شفته حياً ، وأنها  
وهي تسوق عمرها ، وظن أنها قد عرفت .

فها جن القبل رأى في الدار زوجة سادقة ، رأى أنه التقى  
بالسوقة وأنه تحدث إليها ، ورأى أنها علمت كيف يحلم أعلاماً  
التحقق ، ورأى أنه قد ذكر راجعاً إلى أيام مطوطة ، وأنه  
رأى سادقة أنه لم يسلم أنه ، فالتحق فيها ، وامتسقت  
هو من نومه .

ومدة تلك الليلة أصبحت به قدرة على أن يحكي نفسه  
- كما أراد - ولما غير دنياه عنه ، وأن يعود إلى الأهم  
السعيدة التي كان يتم بها .

ولما عاد إلى لندن تلقى دعوة إلى مأدبة عظم في البيت  
الذي لى فيه الدوقة لأول مرة ، وعلم أن (ماري تورز)



لم تكن إلا الآلة (سيركسية) وهي ليست إلا مغنيتها  
(ميسس) بينها وبينها.

وفي حديث له مع الفتوة أعلن لها - غير عاشر -  
أنه (جنوجو) الصغير قد شب وكبر .

ولكن (ماري) كانت أقل منه دعشة ، ذلك لأنها قد  
تيفت فيه مشابهة لجوجو عندما التقيا لأول مرة .

ودعينا كلاماً إذاً عما أن رؤي في الليلة السابقة ، وهي  
أنه التقى وإياها في باريس ، قد رأتها هي في منامها .

وباحت له (ماري) بكون سرها ، فحالت إياها لم تكن  
جاء أماً ، وإياها طالت تذكره على مر الأيام . وإن رؤيا

جها في طفولتها قد كانت لها موزة في إبان عمتها ،  
يوم تزوجت ولحداً سكرتيراً ، ويوم رزئت بولادة طفل  
معه .

ثم لفتها . وعاد (بيتر) إلى عالم حقائقه ، صبر رأيه  
الحواسل عن (ماري) ، ولكنه تولى دلياً أسلمته . يوم  
ظرفها .

وفي تلك الآونة رأته (ميسز بيتر) ، وفيه أصبح  
(ميسز جريجوري) ، وكان يمشي وحيداً ، ولم يكن حينها  
أحس هي أن لا بد له من قراءة .

وكان الخطاب قد بحث في إلهيا (الكولونيل إلسون) ،  
وقد ضمنه كذبة خبيثة مؤداها أن والده (بيتر) كانت  
عشيقته ، وأن (بيتر) كان ولده غير الشرعي ، لأن جنون  
(بيتر) من القبط على ما تكل أمه من فضح وتغيير .

ثم مضى (بيتر) إلى (الكولونيل إلسون) وفي يوم  
الخطاب ، ولما واصلوه (الكولونيل) بالصبر والخط من  
قدراؤه ، أحوى عليه بغيرة من صلاء فكانت القصة  
التي تليها .

وأي (بيتر) أن يعيد على صامع المقتنين أفعال التعير  
التي رمت بها أمه . والي كانت السبب في اعتدائه على  
(الكولونيل) ، فلم يذ القضا له حظاً محظاً ، فحكوا  
عليه بالقتل .

ولكنه في الليلة التي صدر فيها الحكم تلونه أسلامه .

فراى في المنام (ماري) فأخبرته أن الحكم سوف يخفف  
إلى عقوبة السجن مدى الحياة ، وأبانه كذلك أن زوجها  
وولدها الصغير قد ماتا ، وأنها وإن تكن تحصلها عن  
(بيتر) جذبان المجن ، فإنهما يستطيعان أن يلتقيا في  
علم الرقبة .

وقد تحقق ما أنبأته به (ماري) ، وعاش (بيتر) في  
السجن خسة ونشرون عاماً ، وهو سعيد غاية السعادة ،  
فكان يفتي وإياها كل ليلة في ذلك البيت الجليل الذي  
كان يتبعهما وحاً مطلقاً .

ثم توفقتا - في المنام - على لغة سرية ، فكانا  
يراسلان بها .

وصرت تلك السلوك السعيدة ، من الصحاب ، وبرح  
كلامها في من الأحلام برادة لا حد لها ، حتى لقد استطاعا  
أن يحكما القصور فكرهما راجعة إلى دهر أسلافهما  
الآنسعين فيما مضى ، الأخفاء والآباء ، والتحدث إليهم .

ولكن باب السرور قد توجب مقاديرهم مالت (ماري) ،  
لعل الحزن طغى (بيتر) فاعتدى على حرامه ، فقتل من  
المجن إلى مستحيل الخائب .

وأصابته من غيرة وفن الموت ، ولكنه لم يمت . ثم  
عادته نوبة الحلم ، وكان في أسلامه اللاسية يرسل دائماً في  
حلل الشباب ، وهو اليوم قد تله الكيسر ، فأصبح يرى  
في منامه أنه شيخ منهم ، يوم على وجهه فوق شواطئ  
بركة (أولي) ، وأن امرأة محبوا تنظره هناك ، وأن  
تلك الصبوح هي ... ماري ... وأنها قد عادت إليه من  
العالم الآخر لترسيه بالخير ، والتعلق بالأمل ، لأن يدرى  
فلعلها أن يلتقيا مرة أخرى ...

وكذلك عاش هو بقية حياته ، وغداؤه الأحلام ،  
فكان في كل ليلة يعود يذكره إلى تلك اللعالي التي أحب  
وكان طيفاً (ماري) يزوره حيناً بعد حين ، فكان  
يُسمى بالسعادة تغمره كما عادوه الأمل : أن قد يجمع  
الله الشقيتين ...

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم



# كانت لنا أيام

ديوان شعر للشاعر السوري عمر الناص

١٣٦ صفحة - الطبعة الخامسة - دمشق

للأستاذ محمد عبد النبي حسن

من عثر الطريق ، ودوى الضجيج يقول :  
وقدت على القلوب منذ الصبيح  
أسوب الترى وأبسيل النظر\*  
وعادوا إليك وحمل الساء  
ومضى الفضاء وغام البحر\*  
وما بقي أطوار من المجهول  
وما بقي خيال ضيغ حذر ..  
ومارلت تم أسفة الميدين  
وأصرخ : ربي متى أبغض ؟  
ومارلت أخشى عثر الطريق  
وأخشى الضجيج وأخشى القفر

\*\*\*

وإذا كان الشاعر ( عمر الناص ) قد أصبته السنون ،  
أو أصب هو نفسه بهذه النظرات الكثبات وهذا  
التشاؤم الذي لا أحد له مسوغا - مهما كانت مناسباته  
وملابساته - فإنه قد أصيب معه حتى كادت أسقط من  
الإيمان ، وأنا أقرأ ديوانه مرة ومرة وحرة .

ولم أجد في أسلوب الشاعر تعباً ولا إعياء ؛ ولم أجد في  
تلك الصياغة الشعرية المهككة نصاً ولا رهقاً ؛ ولم أجد في  
نسبة الشاعر لإجهاداً ولا تقصداً ، ولكن وجدت أنا في  
في الإنسانية ، وميلاني في التعاطف قد ذهب شبهه .

ألا فبطلتني هذه الشاعر على الله ومحمداته ؛ فإن أراءه  
بأربعة خشية أن يدين الزمان هذه الأفتات فلا تعد من حسن  
شأن في زحام الحياة وضجة الآباد . وأراءه يسأل في تنفصه  
وتطلع فيقول :

من ترى يصني إذا رآه  
حين تبتدى العين بالندى  
حين يأوى الشجر للوك  
ولكن هذا الشاعر غني عن حيرة السؤال ؛ فإن في  
ديوانه كله أحاساً متطاولاً متطاولاً مع العبر ومع الشعر ومع  
البر .. وستظل كل أدن شعبي إليها في سكون ، وستنوشها  
في لغة ، وستبقى على صاحبها الذي سئل من ديوانه شدة  
وأحدة من شدة الحب الظاهري للتحرق ، الخلف الوهمي ،  
للحب المكشور ، الباكي على أمسه ، الترحي من غده .

ولم يسعدني الخط لأن أحرقه عن الشاعر شيئاً قبل أن  
يهدى إلى ديوان الجديد ؛ صاحبته في « الانتظار »  
و « الحرمان » ، وفي « السأم » و « الناقص » وفي « المباد »  
و « زقرة اليأس » ... وصاحبته في غير ذلك من قصائد  
الديوان التي تحمل عنوان تنوء بأعياء السنين ؛ فأرأته قلماً  
يذوب فطرة فطرة على ( أيام ) ، كانت له أوشوش إلى  
( غفر ) يعرقه بالقرار جد أن أكاد السبر والثرى ، وقد  
أن أخلل تنطاع فيها وراء الألال . ولكنه لا يزال مختلفاً

ألم القلب شاع : فما يزده

لذاته الحياة وزعمو النظر

ولقد حدث الله عند بلوغ هذين الصبين - على أن  
الشاعر عمر النسي - شاباً بالأساس - وإنما هو شيخ نال  
من الحياة وثالث منه ، وشيع منها وشيعت منه ... فلا خير  
عليه بعد ذلك إلى ربي أمه ، أو ندب نفسه ... ولا خير  
عليه - بعد ذلك - إن قسوتاً عليه قسلاً : يا شيخ ! فم  
البكاء ، وفيه هذه اللفظة العارمة ، وفيه هذه الزفرة العظيمة ..  
وقد شيعت من الحياة . ثم شيعت منها باعتراقله وإقراره ،  
فلم تعد تكتفي معك - مهما كنت بارعة في الاستيلاء -  
على قياتك التي لن يموت ...

وتد يقول قائل : إن الشاعر هنا يعالج تجربة شعورية  
خاصة به ، فما دله يقيم الدنيا ويضعها من أجل نفسه ، وما دله  
يتصور أن الأرض منطبق عليها السماء لأن شاعراً ؟ كانت  
له أيام ، ثم فتح عليه على الأفق ، وعلى الفضاء ، وعلى  
النفس والحاضر والمستقبل ، فإذا هذه الأيام قد ذهبت إلى  
خير عودة ، وذهبت إلى غير رجعة !

ولكننا حيناً - أعني الناس - لنا أيام ! وسائق  
في القلب على مائدة الحرب بعد طول الجوب ... نحيل النظر  
فلا يرى غير ظلام السماء وهو يطبق على النهاية . فإذا  
استطاع شاعر - كالأمستاذ عمر النسي - أن يجر عن  
مفاعله الحياة ، وفراق الحياة ، وبأس الحياة ، وخداع الحياة  
بالسبة إليه فقد استطاع أن يجر عن ذلك جميعاً بالنسبة إلى  
كل واحد منا - منا نحن الحيارى المذنبين في إيه قد نشغلنا  
عنه قليلاً بعض أقدار الطريق ...

ومن هنا لم تكن « أيام » عمر النسي أيامه وحده ،  
ولا كان ما به له وحده ، ولا كانت محاولته من الحياة خافوه  
وحده ، وإنما هي شبكة كل إنسان ، وعلة كل موجود .

\*\*\*

يتطلع الشاعر عمر النسي في ديوانه الحزين إلى الماضي ؟  
ولكن هذه النظرات لا تشغله عن التطلع إلى « القد » .  
وتطلعه إلى الأمل هو تطلع التجسر . أما نظامه إلى « القد »  
فهو تطلع مشوب بالحرق أولاً ، ومقرون بالحيلة ثانياً ..  
لأن الشاعر يصوره أخضر يائساً ، فإذا هو مقترن موحش  
كئيب كما يقول :

وأحزن ثراباً ، واستند على الرمل سراه . ووجدت في  
الشاعر رجلاً قد آتاه الدهر بأحالة ، وأتاح عليه بأفاته .  
فراح يدب « أيامه » في أنغام حورية ، غائكة ، باكية .  
فراح لم يجد ما يفره في البقاء أو يلجأ في العيش قائل :  
أيها الطبيعة الذي يدب بين ديبساي وبحري  
هاتك القلب الذي أشبعه ثمة أثمرت فخر  
لم يجد بسلك ما يجر إلى من العيش وغيرها  
ولا لم يعلم لم يدب ... ولكن كيف يدري  
نزي من يكون هذا الشاعر للشورى الذي أولد أن  
يقف إلى أولاد السود الحزين ، وثراً جديداً ؟ ترى من  
يكون هذا الإنسان القلب الذي لم تفر في من خلال ديوانه  
ومضة واحدة بأمل جديد ؟ وهلا أتق من التسوع شيئاً  
( لعله ) ؟ أو ترك في قرارة الكاس شيئاً لندعه هنا  
بعدنا عن غسه ، وبمرقته يورته يقول :

أنا شيخ أدب في شعب الأثر

من وأخضر بحرق وقران

أزوي في الحياة أذكر دنيا

في وأحيا في إلهيات الشغل

أشعر الذكريات بين يدي

في وأزوي الحزن في استعراق

وفي للفتن نظيرة يائي

خلفتها الكرب فوق حدائق

أنا شيخ آمل بالأرض سائماً

في ، وأملوي الحياة في إشتاق

فهو هنا يعترف بشيخوخة يستعيد في طفلها إشتاق  
ماض قدح : وهو في مقطع آخر من قصيدة أخرى يتساءل :  
هل أوغلت في ظلام الكبير ؟ وهل شاع القلب فلم يجد  
يسنوه غداً ، ولا يزده الحياة غداً .

ويقول في أسطورة الحلق الرمين :

ترى هل أضعت الطريق السوي

وأوغلت في ظلمات الكبير ؟

أولتي زمان ، التي والنداء

وأفقر درب التمدن والرهز ؟

ومات التمدن في الرمي واليقاع

وجلس الحرف خلال الشعر



مستكين هذا الشاعر في إسلام نفسه قبل هذه الحواشي  
والحوادث التي تليها العكر . ونحوه القليل وتضمن ما بقي  
من الشعر . وإن كان يظهر أملاً بالشعر . ويستدل  
بأنه لا بد منه كأنه حقيقه وأصله . وسدح الاستسلام الحرف  
والرقة ... فبقول :

أنا ظنر غيباً إذا ذوى عود  
د وتمر الخريف بالآدواني  
تؤلف من دى قبيصة صميم  
خلقتهم الأيسم في أمراق  
أيها الخريف لا أرحب إلا  
بح .. فمئة باليوم والإراق ..  
الريح التي أوصل دوى  
في دعول ورقية والتلياني .

\*\*\*

الحرف وأما هو : أما هذا الشاعر الذي عهد إلى أنه  
خلق مراحل البحر على مزج موصول ، ولم ينادوه الحرف  
على في شيخوخته التي ميزها شعره ...

فما إلى أن يوم الحياة ملأه ملوحة بالرب ، فلا  
تستريح من تحت الأمان ، أو تسعة من لسان  
الملك ... أو العهد إلى أنه « أمان » وسفر في الأمانة .  
أو « شحيح » وبالغ في الشح « يلفظ على أملاك » ولأنه  
وتوقف على خلق في القرب حاته ... اسمه وهو يقول :

أخافه أضاف أن يملوى غلام التماس ليلاني  
ويركني على الأرض بلا مغفر ولا آثر  
يلين العزم استعدي من الحرامني أيساني  
إذا ما أوما للبحر ثرت عليه فلتاني  
وجود لشاعري كبري الأدمى وكبرالز ... فليأ إلى  
الشعر وإلى التفكير ... ولكن هذا كله غلام لا يفدنا عن  
شعر الحرف في نفس الشاعر مهما كان مثل الشطح الآن .  
فديك أيها القلب أنت تراعى من دهره ؟  
أنت تحاف أن تفسد أنت تشك في صبرك ؟  
لقد يد بك التأي فانا كان من أمرك ؟  
وقد روتك الشعر فكاد يهين من كرك ؟  
فلو أن الشعر كد يمين من كبر الشاعر صفاً لا صفناً

أما بعد فمر بكاء بشقي . وخلق من ذلك الشعر يقول :  
وكما يلوح في قصيدة أخرى :  
وقعت الأوبار أملي غشي فإذا الدنيا فيه نصيباً  
أما حية الأولى في هلسا القدر الرغب . والصورة التي  
تعملها الشاعر له حفره . موزنة فإذا هي على القدر من  
ذلك . والتلف الحبيب إلى استكشاف القدر ...  
أما ذلك كله فقد عبر عنه الشاعر أمداً وأجل يعبر  
في قوله :

وكان لنا سعدنا الشرمي  
عبد الخطاه ونشعر  
وزمفه بالفضيل الأوب  
وبرصه القلب والحبر  
تكتسه أخضر الصنمين  
يروح به السور والكور  
ولم تشره رؤى من خوا  
وزمته أسل بره  
تبعته في العساء القبر  
ولم تغمض أسل السور  
فأبغضه القلب على الحبر  
يعدق به ونشعر  
فانا رأى 1 عاد يكي حساه  
ولعمم = سمه 1 به مقدر

\*\*\*

وأما الشاعر التي ( كانت ) من صدر ( الرعب ) الحلو  
الربيعي حين يدبر : وهذه الرغب الخوف الحبيب للأمان  
هو صدر « الحرف » ... الحرف الذي يهاه الشاعر  
ويحاول أن يجد منه مهراً ، ولكنه مدركه .. كليل  
النايلة الديان الذي يقول فيه العنان :

فإنك كالليل الذي هو مدركي  
وإن قلت أن التأي حثك واسع  
وما أشد خوف شاعرنا عمر التأي وهو يقول :  
فديك قد أطلت خريف عمرى  
فأين ! نهوى منه ونشعرى  
\*\*\*

أشام الدنيا والتسكن نسري في حلال أدبوني ( كانت لنا أيام ) - ولكن لنفاد مسكفة شاعر من الذين يقولون فيهم القرآن : ( وأنهم يقولون ما لا يفعلون ) . . .

ولقد عجز الحرف لشاعرا « بحر النسي » من الأوهام في الحياة ما كان يحل فيها معنى الوجود وقبلة الوجود - حتى صارت الحياة في نظره ، وأصبحت الميراث أمام عينه هباء في هباء :

هباء من الدنيا هباء من الزمان

هباء هباء كل ما لنا الرقي

وعند النظر « الحياة » قلبنا في عوالم وأخت العلم . ومن القائل مع القوة الخفية التي يجب أن يتسلح بها الإنسان - ولو كان خائفاً ... وأنى إنسان من قوى معتم بالحياة يرعى أن يرد مع الشاعر عمر النسي قوله : في فضاء تحوس أخيلة الطير وفي جاني أحس صفاء وعلى مقالي يتعد اليأس من وعري مع الدعوى الطائر

\*\*\*

وعلى الرغم من أشام اليأس والحزن وحشة الأمل التي تشيع في ديوان ( كانت لنا أيام ) من رؤى الشاعر - وهو الشاعر استطاع في مدخل ونوعه منكم ومفاتيح أدبية أن يصور لنا حالاً من الحياة ... ولو أنه قد استطاع أن يخلق الصورة الباطنة الباطنة الباطنة أن يصب الترحمة في هبوب سنا ولا يقوان لائل : كيف يصور الشاعر لسانه في بحر من أشراق الحياة . فإن الشاعر لا شك قد جرب في ( أيام ) الظلمة كثيراً موت السرور الذي جادته اليوم ليكنه ... وما الذي أمكنه وهو حزين في ماضيه البعيد عن أن يسعدنا أشام حياته ؟ حتى إذا ولت هذه الأيام عاد يتعها في ديوانه ( كانت لنا أيام ) .

ألم أقل لك إن الشاعر « بحر النسي » أنى دليل الأمانة أنه لم يتركنا منه في أفراس ماضيه البعيد ، ثم يجره اليوم فيتركنا منه في الآلة وسأوسه وعواطفه من عند ومرض كل ذلك علينا فرساً ...

\*\*\*

ولا أدري لماذا أعجبت بهذا الديوان قراءه أكثر من مرة . وجملة مدوني في شهر رمضان ، شهر المسك

والعبادة ؟ قد تبعه الإنسان بالألأ لأنه يظلم من خراب النفس البشرية الملوثة ... ولعلنا ذلك هو البني حسب إلى ديوان « كانت لنا أيام » . أو إلى أشيا أخرى أهدتني إلى قراءة حققة الشعر الحزين دقاً ، فوجدت من قرأته طراً ومزوراً ...

ولا أدري لماذا سررت في جو غاني الحشرات والمفاتيح ؟ ولعل شاعرا الأستاذ عمر النسي ، وأسأله العزى الرضين للشري ، وصديقه حتى في الصبر عن الآلام هي مبحث ذلك الطرب والسرور .

\*\*\*

ثبت بعد ذلك كفة تتعنى الضميمة أن أحسها ... فلو جلا هذا الديوان العزى التصريح من جعل الضرورات وخطأ البناء القوي لكانت عليه السكال ...

في صفحة ١٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ٣٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٣٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٣٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٣٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٣٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٤٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٥٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٦٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٧٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٨٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٤ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٥ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٦ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٧ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ٩٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .  
في صفحة ١٠٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ٩٨ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ٩٩ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ١٠٠ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ١٠١ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ١٠٢ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .

في صفحة ١٠٣ : أشاف من السنين ، وصوابها « السنين » .





إن كلامه في هذا الفصل يدل على أن الأسابيع التي جرت  
بالقصر لا بد قد جرت على أنوار القشيرة بسوناتات  
للموسيقى العظيم . وشارك في عزى رابعياته . لأن هذه  
الغزلية في الإحساس لا تصعد عن العقل الفسح ،  
بل عن القلب النابض . ومن هذا الغزلة أحاديث عن  
موسيقى وهواة الموسيقى الغربية في مصر ، وما إلى  
ذلك ، مما لا يصح إلا عن موسيقى مطبوع ولسان زاهر  
الإحساس ...

إن أكبر ما يقرب هذا الكتاب من نفسي ويحالفني  
أعود إلى مطالعة فصوله للمرة بعد ثرة هي هذه الزفة  
الغربية التي يزرع إليها الدكتور حسين فوزي فيه ، زفة  
صادقة صريحة قوية . تدل على أن صاحبها يشاركنا الإيمان في  
أننا لن نصل إلى ما نحبو إليه من رقي إلا إذا اتبعنا  
وجهة غربية حاصلة . ونحققنا من أعباء هذا التراث  
القيصري الذي يشغل حركتنا عن السير ووقف بنا في  
مصر الطويل . فلا نحن مستطيعون حت الماضي  
القيصري في طلائع . ولا نحن قادرون على أن نلاحق العصر  
الذي نعيش فيه الآن .

ذلك كتاب قوامه بالدواعي والجواهر . ومهما تكن  
وجهة نظر قارئه . ومهما يكن اتجاهه في الحياة ، فهو  
خارج من قراءته بطلاقة من الأعمال تنفع أكثر من  
قراءة أي كتاب مريح يستجدي عطف القراء باللمح في  
ذكرات عاطفية ماضية .

حسين مؤنس



أسأله يتبعون هناك في إصريق القديسة ، وإيطاليا في عصر  
النهضة ، وألمانيا في أيام جيشه وشكر ، والنسب في أيام  
موتسارت وبينوفن ... لشعره أنه نهل من هذه النايح  
القيامة واعتدى غيرها وأنه حتى أصبح جزءاً من كيانه .  
من هنا لا غرابة أن تشعر وأنت تقرأه أنك تسبح  
من طبه وإحساسه الفني في بحر زاهر يبعث في نفسك  
لونا من النشوة قبلما تشعر به . وأنت تقرأ كتاباً عربياً  
آخر ...

أجل ، وما أسأله وهو يتحدث إليك عن أهم العقول  
وصف لك نفسه طفلاً يصنع طائرة من الورق ليمنها في  
المواد ويخلق معها عقل الطفل في أجواز الفضاء . إنه  
يصل يومه هذا إلى أبداع وأدق ما بلغه الراسيون في  
الغربية ، لأنه يجمع الصدق والبساطة والعمق في النظرة في  
آن واحد . وما أسأله حيناً يصف لك الشعور الذي أرقه  
به مرة ليتمتع للندل ، فإياه — وكان إذ ذاك صبياً —  
وأجلسه ووضع على رأسه خرقه وأمداه فحماً ، وطلب إليه  
أن يصف ما يرى ، فلم ير الصبي شيئاً . ويصل إلى ذلك  
يخبره ليؤثر في خياله المهي ، ويصوره أنه يرى في  
قاع القنجان سارق النسي . الضائع ؛ فأصر الصبي على أنه  
لا يرى شيئاً ، فرفع الرجال الحرقه عن رأسه وقال لمن  
حوله كمن يتنزه عن الحياة : « الولد أوك ! » . وهو  
يريد بذلك أن الصبي قد بلغ مبلغ الرجال ، فلم تعد الشياطين  
نوح له بالأسرار . ولكن حسين فوزي يريد بذلك أن  
« الولد بلغ الإدراك العقل » . وأصبح يميز بين الحقيقة  
والخيال . ولم يجد يرى إلا ما تراه عيناه لا ما يهوس له به  
خياله البصير . هذه غفلة غبية بارعة لا تصبر إلا عن ذهن  
حساس مرهف قادر على أن يصل إلى أحماق الأحياء ؛  
قد رأينا عملية للندل جميعاً . ولكن الفنان وحده  
هو الذي يستطيع أن يصل إلى هذا العمق في النظر  
والتصور .

ثم انظر إليه يتحدث عن بينوفن ، بل يصل في محرابه ،



## هيرونا والطفل

عن لين بوناخ

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

هيرونا : نعم .. إن كراهيتهم لنا لا أكبر من كراهيتهم  
لنكوزيين .

الطفل : ولم هذا ؟ هل تعلمهم بأمر ما يعلمهم  
الأوروبيون ؟

هيرونا : لا أعلم كيف كنت عن قلب هذا المحيط حول أميائك ؟  
الطفل : ولماذا ؟ بكرهونا بينما نحن نريد أن نصيح

هيرونا : من أجل الماشوكو .

الطفل : هل الماشوكو بلادهم أم بلادنا ؟

هيرونا : لقد عدت إلى اللعب بالمحيط ثانية .. إن يفتأ  
منه تسقط على السجادة فتجعلها قذرة .

الطفل : وما هي الطاهر التي متجدها عندنا ثم ؟

هيرونا : سترضهم لك وتودهم بالمشكولين .

الطفل : أليس لديهم مشكولون أوروبيون ؟ هل تريد

أوروبا أن تصادى الصين أيضاً ؟ هل سترضونها ذلك ؟

هيرونا : أجل .. ولكن يجب علينا أن نعلمهم .. يجب  
عليك أن نعلمهم أنه إذا أقرضت أوروبا مالا للصين

فسيستعرونها .

الطفل : وإذا أقرضنا نحن مالا للصين ؟

هيرونا : إذا أقرضنا نحن مالا للصين فإنا نريد من وراء  
ذلك أن نتخذ منهم أصدقاء .. وأن نساعدهم .

الطفل : أي . من الذي سيأتي اليوم لتناول مأك  
الشاي ؟

هيرونا : وأنت شاعهي .

الطفل : من هو وأنت شاعهي ؟

هيرونا : إنه صيني .

الطفل : هل تتخذ نفسك أصدقاء من الصينيين ؟

يا أي لقد أخبرني أن الصينيين أنك تتكلمون مع الصينيين

بكثير .. كما أن مدرسا قد افتاد أن يمشي علينا كل يوم  
أحدث قلعة عن هؤلاء الصينيين .

هيرونا : من الأفضل أن نعلمك عن الحديث وتكت .

الطفل : هل لي أن أتناول معك الشاي ؟ إلى أي أريد أن

أرى وأنت شاعهي .

هيرونا : حسناً .. لك أن تأتي على أن تكلف عن توجيه

الأستاذ .. ومع ذلك طبعاً اليوم ميمور حول العلاقات  
بين اليابان والصين ولن نعلم من أمر هذا الحديث شيئاً .

الطفل : هل .. من الصعب على أن أفهم العلاقات بين  
اليابان والصين ؟

هيرونا : جداً .

الطفل : لماذا هي مستعصية على الفهم ؟

هيرونا : إننا نريد أن نتخذ منهم أصدقاء وهم لا يريدون .

الطفل : ولماذا ؟ هل بكرهونا ؟

الطفل : إذا ، فالصبيان يقولون أن يتخضوا منا للاله  
على أن يتخضوا من الأوربيين .

هيرونا : كلا . إلههم لن يتخضوا منا إلا إذا أخبرناهم  
على ذلك .

الطفل : إن هذا الوقت مضحك حقاً . ولماذا يحيرهم  
على أن يتخضوا منا العونة إذا كانوا لا يريدونها ؟

هيرونا : لا تخض إصبعك في قك .. إنك لم تذهب إلى  
طبيب الأسنان بعد .

الطفل : حساً جداً يا أبي . ولكن خبري : لفرض  
أنك مريض هل كنت تقي في الباطنيين ؟

هيرونا : إنك ترى يا عزيزي أننا لسنا بأمة منهم عاماً .  
وليكننا الآن نريد أن نحددهم . نريد أن نخرجهم للاله

ونقدمهم للستشارين . نريد أن نرودهم بالأوليس ، وأن  
نشر في النظام .. إننا نريد أن نجعلهم يصرون بحقيقة نيائنا .

الطفل : وما هي حقيقة نيائنا ؟

هيرونا : أيها الأحمق .. لقد أخبرتك سلاً عننا ..  
إننا نريد أن يعلم وائج شامغهاي الآن أننا نريد مساهمتهم ..

الطفل : وهل وائج شامغهاي أحمق ؟

هيرونا : كيف تجرؤ على هذا القول ؟ يا رجل متفكر ..  
ومن كدرك العقلاء في بلادنا

الطفل : هل أستطيع أن أكون في المستقبل مثل  
وايج شامغهاي ؟

هيرونا : بإمكانك هذا إذا اجتهدت في دروسك .

الطفل : لفرض أنني وائج شامغهاي ، فكيف تتوي  
أن تخبرني عن نبات بلادنا الحقيقية ؟

هيرونا : سأوضح لك كيفية إمدادنا لكم بالمال  
والستشاريين العسكريين والأوليس حتى يستب في بلادكم

النظام .

الطفل : خبري يا أبي .. لماذا يصرون على منح الصين  
هذه العونة ؟ لم لا تتركوها وعاشها ؟

هيرونا : حسناً .. إننا نريد أن نستولي على جميع  
البحر الصينية ونطرد الأوربيين من الصين .. نريد أن  
تبيع لهم مستحباتنا ، ونستطاعهم شراء الكثير منها ، وأنجعلنا  
معهم معبد للعبادة ؟ فقد قدام حرب بينا وبين الروس يجب  
أن لمح الصين إلى منافقنا . وليس لدينا الحديد أو القطن

أو الطماط . وليس لدينا من الطعام ما يكفي لإمداد الجنود  
أكثر من اثني عشر شهراً . وفي الصين ما يسد هذا  
الفجوة .. يجب أن نحارب الروس في الصين .

الطفل : إنك لن تحب واج شامغهاي بكل هذا . أليس  
كذلك ؟

هيرونا : بما أنك ابن لأحد الديبلوماسيين يجب عليك  
أن تعلم أننا مشير الديبلوماسيين لا نقول ما نري إليه ، ولكننا

نعتقد أن فهم أ كاذب الآخرين بسرعة وفكة . وليس  
وايج شامغهاي في حاجة إلى أن أخبره ما أخبرتك إليه .

الطفل : بالله كاذب ! ولكن برحمتي أن تسمى هذه  
المخاطبة ؟

هيرونا : سنسميها لا بد عهد جديد لتعاون بين الصين  
والإبان على أساس من الصداقة المشتركة والقدم للثقل لأجل  
الحرص على استتباب السلام في آسيا والعالم أجمع .

الطفل : أوه . بالله من شيء مشير إليه من تسمى عظيم ؟  
من أين بعثت كل هذا ؟ هل عبقولة في المدرسة أن تتطق  
هذه الكلمات الخال ؟

هيرونا : هذا هو ما تخيلك بموسمك إياه كل يوم في  
دروس الإحصاء . ولكن الإنسان يولد بديبلوماسية  
ولا يتعلمها .

الطفل : أوه ؟ ما أعطيتك يا والدي ؟ ولكن لفرض  
أن وائج شامغهاي رأى كل ما ترمي إليه حقيقة ورفض  
مساعدة اليابان .. فكيف تحصل على التجارة الصينية ؟

هيرونا : عتد ذلك بنظر الجيش الإمبراطوري في الأمر .

الطفل : ولكن في الانتماء إلى الجيش ما يحض الصداقة  
التي نريد توطيدها بين البلدين .. إن ذلك سيحطيم  
بكرهونا أكثر من ذي قبل .. هل تحب للطريقة التي  
يتبعها الجيش الإمبراطوري ؟

هيرونا : ( بسرعة ) هـش .. هـش . لا تجعل أحداً  
يسمعك تقول هذا القول . أرى أنه من الجيد أن تسرع  
لتذهب إلى طبيب الأسنان .. وحذار أن ترمي بأطراف  
تلك أو بالحيطة على الأرض .

( يلتفت الطفل خطه ومن قلبه من الأرض وينههما  
في حينه بنادير القرفة .

هيرونا يتنفس الصعداء ) .

صبيح أمر أمي



غضب حسناء

قالت فليكن حبل لسئ أولها  
لا شيء أحسن من نوم الحليفا  
قلت كلا : ولكن الهوى تب  
ومس نوم هوى نوم الحليفا  
قالت : حرام علينا أن نتكلمكم  
حلفتنا : يا ترى ؟ هل أنت قاتلنا ؟  
قلت خائفا : أرى ما ساءكم أبدأ  
وكيف أقدر : يا قاتلنا : إشعينا  
إن الخلاف رأى لا خلاف سوى  
ما أكثر الخلف من عار وهوننا  
«بتضحكت حيثهم الورود من»

وَأَقْرَبَ ثَمَرُ حَبْلٍ طَلَتْ أَسْفَلَ  
وَقَتَّمَتْ بِدَلَالِ الْحُسَيْنِ قَلْبَهُ  
عَنِ الْحَبْلِ تَوَهُّؤُهُ لِلْحُسَيْنِ بِأَقْرَبِ

فتاۃ...

إن - على ربح الجوى والعد -  
أنجحت في حاجتك الأرج  
السابق الخالي دون عمد  
والسابق السالب كل نهج  
وفي حال الخط ذات الحد  
وفي الميوت الدرافات الدامج  
ومرنا فائسة في الحد  
إننا تحطرت زعت في الرج  
وقدك الصنوع وفق البصه  
وكفلى مكومر مورج

ورم بهر وسط البلد  
 يقصر الزمان بسبب أبي  
 وعيد في عيد العبد  
 لحر كل باب وفتح  
 أقسم بالجمال أن تكتفى  
 فقال حسن الرؤى والخي  
 صبر قلوب كزنت العبد  
 تبه في طلاق هذا العج  
 تدو ولكن لا تراك تدو  
 كأنها غرق دوت منجى  
 (بهاء) محمد

إلى المنتصرة

دعني قد ملت حي  
 وماتت على أمان الشباب  
 في نفس المولى في الضياء  
 وبمجرى طواف الأمل والعقاب  
 لا تزل في الدنيا أوتيت أنبا  
 ت وماتت أمان وعاشت وخاب  
 ودعني قد ملت زهراتي  
 وخف هواي وولي الشباب  
 دعني خا في الملوذ الضياء  
 وغلام السبا في ركام التراب  
 وقد صبح في مقام الموان  
 وشاء فؤادي حبس السراب  
 فرحت أنادي ولا من يحب  
 وأدعو ولكن سامع جواب  
 وعاشت لباي حاتم حبال  
 وقل الرقيق ضعف الإهاب  
 ورحت أغنى وبنى الشيد  
 وأمرح: هل يا ترى من مآب ٢١  
 زهر أمر